المشرق

السنة الثلاثون — حزيران ١٩٣٢

الرهبنة البندكتية

في فلسطين

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

بلغ الاب انسلس شياس لاسال البندكتي، رئيس الاكليريكية السريانية في جبل الزيتون، الخامسة والعشرين من حياته الكهنوتية. فعوّل تلامذته وعارفو فضله على الاحتفال بيوبيل كهنوته الفضي في ٢٥ ايار اقرارًا بجميله واعترافًا بجهوده في سبيل تلك الاكليريكية المعروفة باكليريكية مار افرام الملفان ومار بندكتس ابي الرهبان. وصاحب اليوبيل هذا ما كفاه ما صرفه من العناية في تعزيز تلك الاكليريكية وتقويم حياتي طلّابها الروحية والمادّية، بل أخذ على عاتقه ادارة التعليم العالي في دير الشرفة ايضاً طبقاً لنيّات صاحب الغبطة مار اغناطيوس جبرائيل، البطريرك الانطاكي، والسادة الاساقفة الجزيل احترامهم. فرأينا ان نغتنم الفرصة لننشر كلمة عن الرهبنة البندكتية في فلسطين سابقاً وحاضرًا، نختمها بلمعة عمّا اتاه صاحب

اليوبيل المفضال من جلائل الفعال التي تخلد لنيرته أعذب تذكار على مرور الاجيال .

١

الرهبنة البندكتية في فلسطين سابقاً

لا خلاف في ان الرهبنة البندكتية هي امّ الرهبنات القانونية في بلاد المغرب. فان القديس بندكتس (٤٨٠ - ٥٤٣) اول من احترث تربتها وغرس حديقتها في سبياكو بايطاليـة ، وحوّل بريّتها المقفرة وجبالها الجرداء الى جنات خضراء وغابات شجراء انتجت زهوراً زكية وثماراً حلوة شهيّة لذّذت ابناء الكنيسة الكاثوليكية بعذب اريجها ، وأبهجت روّاد العيشة النسكيّة بحلو مذاقها ، وأثلجت صدور الأدباء بما خلفته في اديارهـا ومعاهدها من الآثار الكتابية الثمينة والمآثر الدينية والادبية القيمة ، حتى اصبحت تلك الديورة بعبّادها وزهّادها تفاخر السماء بنجومها وسيّاراتها .

على ان مار مبارك او بندكتس أسس في اول امره اثني عشر ديراً أعظمها دير كاسين عام ٥٢٩ ، ونظم لرهبانه قوانين ودساتير محكمة ، واقام في كل منها رئيساً تولّى هو الرئاسة العامّة عليها جميعاً . ولم يقف عند هـذا الحدّ ، لكنه انشأ كذلك اديارًا للراهبـات في لحف جبل كاسين ، ونصب شقيقته القديسة سكولستيقا رئيسة عليها .

وما مرّ القليل حتى ازدادت الاديار البندكتية غرباً وشرقاً ، وانافت على الثلاثة آلاف دير بلغ عـدد المنضوين اليها سبعة وخمسين الف راهب وراهبة تجرّدوا قاطبةً للاعمال الصالحة فاعتكفوا على الاصوام والصلوات والمطالعات ، ونصبوا عقولهم لنصرة الدين القويم وخلاص النفوس المشتراة بالدم الكريم ، وبالغوا في ترقية العلوم والفنون معتقدين ان العلوم الحقة الراهنة لا ينالها الّا من استحقر اللذات الدنيا واستأثر بالغاية القصيا . فغدوا نبراساً للفضائل يستضاء به وانموذجاً للمعارف يقتبس عنه . وأحصي منهم سبعة وخمسون الفاً في سفر الابرار القديسين، في جملتهم عشرون حبرًا زينوا عرش الخلافة الرسولية الرومانية بسموّ

مداركهم وشريف مناقبهم ، وخمسة ملافنة انعشوا الكنيسة بنفثات اقلامهم ، وعدة اساقفة رعوا قطيع السيد المسيح بحكمتهم وتعاليمهم .

وما بغيتنا في هذه العجالة استيفاء جميع مناقب الرهبان البندكتيين وتعداد مؤسساتهم وأعمالهم بأسرها. لكننا أحببنا ان نثبت كلمة وجيزة عمّا انشأوه من الديورة والملاجئ في فلسطين نستقي معظمها من مجموعة الاباتي الورع بندكتس غريادور منشئ الاكليريكية السريانية في اورشليم، التي نشرها عام ١٩١٢ بعنوان: « اديار البندكتيين القديمة في الشرق »[1] فنقول :

يعود الفضل في تأسيس اول مركز للبندكتيين في اورشليم الى الحبر العظيم البابا غريغوريوس الكبير (٥٩٠ – ٦٠٤) كاتب سيرة مار بندكتس ابي الرهبان. فهو الذي بعث الى الاب فيلبس البندكتي برسوم يأمره ان يستأنف بناء دير البندكتيين بما تركه الاب فروبس سالفه من النقود . وشفع الحبر الروماني مرسومه هذا بخمسين قطعة ذهبية ارسلها الى الاب المومأ اليه انجازاً للعمارة . ودير البندكتيين هذا اورد ذكره السائح انطونان دي بليزانس (de Plaisance) في القرن السادس مصرّحاً بان موقعه كان محاذياً لكنيسة يوسطنيان المعروفة بكنيسة مريم العذراء . وكان يشتمل على مأوى فسيح الارجاء يضمّ بين جدرانه تارة ثلاثة آلاف وطوراً خمسة آلاف من الزوّار والفقراء والمرضى ، يتولّى الرهبان والراهبات القيام بأمورهم والتوسّعة عليهم . وظلّ البندكتيون يشغلونه حتى السنة ٦١٤ ، اذ دوّخ الفرس المدينة المقدّسة وقوّضوا زهاء ثلاثمائة مأوى مع ما قوّضوا من الديورة والكنائس .

وهذا المأوى او الدير البندكتي كان مصاقباً للمأوى الذي شاده فيما بعد كرلس الكبير († ٨١٤) الذي وثّق عرى الاتفاق بين فرنسة وهرون الرشيد († ٨٠٩) فأسس في القدس مركزاً لدولته ، ومركزاً آخر للبندكتيين . وابتنى ثلاثة ديورة او ملاجئ ، أخصّها واولها : دير مريم العذراء المشهور بدير اللاتين ، كان موقعه جنوبي شرقي كنيسة القبر المقدّس . اورد ذكره في نواحي السنة ٨٦٥ برندس السائح بقوله : « حللنا في مأوى الامبراطور كرلس المجيد .

[1] Les Anciens Monastères Bénédictins en Orient.

موقعه في وادي يهوشافاط . يشتمل على نزل للزوّار الفرنج وعلى كنيسة مبنية على اسم مريم العذراء وعلى « مكتبة » شهيرة واثني عشر مسكناً وعلى حقول وكروم وحدائق » . ويُستنتج من ذكره « المكتبة » ان ذلك الدير كان حافلاً بالمصاحف الثمينة طبقاً لتقاليد البندكتيين ، فكانوا يطالعونها اثناء الفراغ من اعمال الزهد والفلاحة . ثانيها : كنيسة بيت لحم وقد ذكرها ريّان (Riant) بقوله :«صادفت في كنيسة بيت لحم خمسة عشر راهباً بندكتياً في عهد كرلس الكبير يخدمون كنيسة مريم العذراء المشهورة يوم ذاك ببيت القديس ايرونيمس » . ثالثها: دير الجسمانية ، وكان البندكتيون ايضاً يشغلونه في عهد كرلس الكبير يحرس ستة منهم كنيسة ضريح العذراء ، وغيرهم يخدمون مأوى حقل الدم ، كما اثبت غير واحد من المؤرخين المعاصرين .

ظلّت هذه المراكز الثلاثة في حوزة البندكتيين حتى عهد الحاكم خليفة مصر ، فقوّضها مع ما قوّضه من ابنية المسيحيين عام ١٠١٠ وأراد الرهبان على الجلاء عن فلسطين . لكنه في اوائل القرن الحادي عشر أقبل منهم عدد كبير من امالفيتا يرئسهم القديسان بونون وسيمون البندكتيان . فبونون سار في اول الامر الى مصر وجبل سينا نحو السنة ١٠٢٥ . وأسس ثمّ ديورة لرهبانه . ثم شخص الى فلسطين عام ١٠٣٥ ورمّم دير بيت لحم وغيره . اما سيمون فقد وصل الى اورشليم عام ١٠٣٠ في عدّة زوّار من ايطالية وحلّوا في دير بيت لحم ، ورمّموا كنيسة العذراء ، او هي كنيسة اللاتين قرب كنيسة القيامة . وقد ذكرها المؤرخ غوليلمس اسقف صور (١ : ١٨) بقوله : « ان تجّاراً من امالفي كانت تصلهم بخليفة مصر صلة حبيّة قدموا الى اورشليم واستأذنوه في انشاء دير للرهبان وكنيسة ومأوى للضيوف والزوّار ومأوى آخر للنساء اللاتي كنّ يتوافدن زرافات من ايطالية للتبرك . واستحضروا راهبات بندكتيات عهدوا اليهنّ العناية بامورهنّ وابتنوا لهنّ كنيسة على اسم مريم المجدلية عُرفت بكنيسة مريم الصغرى » .

ويتلخص من قول غوليلمس هذا ان تجّار امالفي انشأوا ثلاث كنائس وثلاثة مراكز قرب كنيسة القبر المقدس : اولها كنيسة مريم العذراء ومركزاً

للرهبان . ثانيها كنيسة مار يوحنا ومأوى للرجال . ثالثها كنيسة مريم المجدلية ومأوى للنساء . وتولّى ادارة تلك الكنائس والمراكز رئيس واحد بندكتي كان اسمه في عهد الصليبيين جيرَرد ، امتاز بوفرة عطفه على البائسين وجزيل اعتنائه بالمرضى . اما رئيسة دير الراهبات فكانت تدعى يومئذٍ اغنيسا .

وكان موقع كنيسة مريم اللاتينية على ما ذكر غوليلمس عام ١٠٣٠ في حارة النصارى، تجاه باب كنيسة القيامة، على مسافة رمية حجر منها . وقد أثبت بعض الكتبة استناداً الى تقليد سرياني قديم ان سيدتنا مريم العذراء الجليلة كانت واقفة في ذلك المكان ، حين آلام ابنها الفادي . وكتب غيرهم انه في السنة ١١٦٠ و ١١٧٠ كان تجاه كنيسة القيامة كنيسة جميلة على اسم مار يوحنا المعمدان ، يصاقبها نزل للزوار والفقراء والمرضى ، ودير للرهبان فيه كنيسة على اسم العذراء ايضاً . وكان مركز هذه الكنائس الثلاث محلّ ما ابتنى الالمان البروتستان كنيستهم في عهدنا .

اما دير البندكتيين الكبير فقد انشأه في القرن الثاني عشر فرسان مالطة المعروفون باخوة مار يوحنا او فرسان رودس . وكانوا في بداءة امورهم يتبعون قانون مار بندكتس ، تحت رئاسة الاب جيرَرد البندكتي المذكور ، ويتولّون خدمة المرضى ومساعفة المحتاجين ومساعدة الزوّار ، وكانوا يترّدون بثوب أسود مُعلَم ٍ بصلبان بيض حين اقامتهم الفروض البيعية . وقد أبلوا بلاءً حسناً في ساحة الحروب دفاعاً عن حقوق المسيحيين وصيانة لكنائسهم واديارهم .

وما عدا ذلك كله فكان للبندكتيين ديرٌ في وادي يهوشافاط عُرفَ بدير ضريح والدة الله (ستي مريم) . وقد احتجبت كنيسته حتى عام ١٠٩٩ ، فاستحوذ عليها الصليبيون ، وفوَّض غودفروا فاتح القدس المجيد ادارتها الى الآباء البندكتيين ، وترأس عليها القديس هوجس († ١١٠٩) البندكتي . وانتهى تأسيسها او بالحري تجديدها عام ١١١٢ ، وكانت مدبجة باجمل التصاوير ، مزدانة بافخر الرياش واثمن المصابيح ، يحاذيها عام ١١١٥ نزلٌ للزوّار والفقراء والمرضى .

وكان رؤساء دير يهوشافاط يدوسون في عهد الصليبيين عدّة ديرة وانثني

عشرة كنيسة في نابلس والجليل وسفح جبل الكرمل وطبرية ويافا وصفورية وقيسارية وعكا وصور وصيدا وانطاكية . وكان بعضهم يحرثون بقعة الوادي ويسقونها بمياه عين شيلوحا التي كانت تخصهم ايضاً . ولعل الربوة التي ابتنوا فيها ديرهم المعروف اليوم بدير مار افرام ومار مبارك المطلة على ذلك الوادي كانت تخصهم ايضاً في ذلك العهد .

ونضيف الى ذلك ان تنكريد فاتح انطاكية البطل الشهير لمّا انتهت اليه الولاية على بلاد الجليل ورمّم كنائس الناصرة وطبرية وجبل تابور عهد أمرها الى الرهبان البندكتيين ، واقام جيرَرد المذكور رئيساً على دير جبل تابور عام ١١٠٠ . وجيرَرد هذا حضر مجمعاً عُقد في اورشليم في كنيسة القبر المقدس عام ١١٠٢ ، ثم ارتقى الى مطرانية بلاد الجليل وطبرية في ٢٩ تموز ١١٠٣ بتفويض الحبر الروماني البابا يسكال (✝ ١١١٨) . بيد ان المسلمين استحلوا ذلك الدير في ٤ ايار ١١١٣ ، واستباحوا اثنين وسبعين راهباً من رهبانه وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً . لكنَّ البندكتيين عادوا عام ١١١٥ الى ذلك الدير ورمّموه وشغلوه . وحضر بطرس رئيسهم مجمع نابلس عام ١١٦٠ . ونجح دير تابور نجاحاً باهرًا في عهد رئيسه يوحنا (١١٨٠ — ١١٨٣) حتى اذا كانت السنة ١٢٥٥ ألجئ رهبانه اجمع ان يغادروه كما غادروا ايضاً ديرهم الكبير في وادي يهوشافاط عام ١٢٨٧ ، وارتحلوا الى طرابلس فعكا . ثم عادوا باسرهم الى مسّينة عام ١٢٩١ . وكان ذلك آخر العهد بهم في بلاد المشرق . وظلّ رؤساء دير مسّينة يوقعون امضاءهم الواحد تلو الآخر بعنوان « رئيس دير يهوشافاط » زمناً طويلاً .

وعلى أثر ارتحال الرهبان البندكتيين عن القدس استولى السريان على دير يهوشافاط . وكانوا يقيمون في كنيسة ضريح العذراء الصلوات والطقوس السريانية حتى السنة ١٣٩٢ . فاستحوذ عليها حينئذٍ الرهبان الفرنسيسيون . ثم استولى عليها في ايامنا الروم والارمن والسريان والقبط المنفصلون عن الكرسي الروماني المقدّس .

وما عدا اديار البندكتيين ومعاهدهم في فلسطين ، فقد أسسوا ديرًا على

اسم مار بولس الرسول في انطاكية · وكانت كنيسة ذلك الدير تشتمل على ناووس مدبجة ارضه بالفسيفساء · وقد روى غير واحد من المؤرخين ان الاناء المصطفى كان يكتب رسائله في ذلك المكان ويبعث بها الى المؤمنين · وعرفنا من رؤساء ذلك الدير رُبرت عام ١١٤٠ ، فبطرس عام ١١٦٨ ، ففولك عام ١١٨٣ فبرنردس عام ١١٩٧ . وهكذا تسلسلوا حتى السنة ١٢٦٨ ، ثم تركوه وعادوا الى ايطالية .

اما الراهبات البندكتيات فكنَّ يشغلن دير القديسة حنة ام العذراء مريم (الصلاحية) · وقد شاد فيه الصليبيون كنيسة فخمة وانقطعت اليه بنت بغدوين الثاني ملك القدس عام ١١٣٠ ، ثم انتقلت الى دير لعازر في بيت عنيا · واقتفت آثارها ثاودورا الملكة ارملة بغدوين الثالث · ولما فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس عام ١١٨٧ ، حوّل تلك الكنيسة الى جامع ، وذلك الدير الى مدرسة ، ثم امتلكها الفرنسيون وولوا عليها الآباء الافريقيين المعروفين بالآباء البيض .

وكان دير لعازر في بيت عنيا يشتمل في القرن الثامن على كنيسة جميلة عُرفت بكنيسة «مفاوضة يسوع تلاميذه» ، وقد استحوذ عليها راهبات مار بندكتس عام ١١٣٨ ، وابتنى البابا قلسطينس الثاني († ١١٤٤) كنيسته عام ١١٤٣ ، بمساعدة فولك ملك القدس . وقد ترأست على الدير الام مَتيلد البندكتية ، وخلفتها الام مليسَّند ، فأغنته بالاواني الذهبية والفضية والحلل الثمينة الفاخرة . وقام بعدها شقيقتها يهوديت ، وخلفتها الام حوا (١١٧٣ — ١١٧٥) . وفي السنة ١١٨٧ خرج الراهبات عنه قسرًا الى عكا ثم عُدن الى اوربة .

وكان للراهبات البندكتيات ديران آخران احدهما في انطاكية عام ١٢٦٤ ، والآخر في جبل الاسود تجاه تلك الحاضرة .

على هذا الاسلوب اضطرَّ البندكتيون الذين تولوا حراسة الاراضي المقدسة نيفاً وستة قرون ان يتركوا أديارهم وملاجئهم عام ١٢٩١ ويرتحلوا الى اوربة . وناب منابهم اخوتهم رهبان مار فرنسيس .

٢

الرهبنة البندكتية في فلسطين حاضراً

ما برح ابناء الرهبنة البندكتية والملة السريانية جمعاء يرطبون السنتهم بالاثنية الطيبة على ذلك الحبر الكبير البابا لاون الثالث عشر الحميد الاثر الذي أبدى لهم فرط حبه الابوي فسوّغ لهم ان يتولوا كنيسة ابي غوش ، ويبتنوا اكليريكية لابناء الملة السريانية في اورشليم . بناء عليه أوفد قداسته في ٩ كانون الثاني ١٨٩٩ الى القدس الشريف الابوين برنزد وتيودور البندكتيين وفوّض اليهما ، طبقاً لمرسومه المؤرخ في ٤ تشرين الثاني من تلك السنة ، حراسة كنيسة ابي غوش ، وهي قرية العنب او قرية يعريم (١ ملوك ٦ : ٢٠-٢٣) البعيدة عن اورشليم ١٣ كيلومتراً على طريق يافا . وكان المسلمون قد استحلّوها منذ السنة ١٤٨٧ . وهي كنيسة فخمة تحاكي قلعة حريزة ابتناها الصليبيون على اسم ارميا النبي في اواسط القرن الثاني عشر ، واتخذوها فيما يُظَنّ معقلاً يتحصنون به اتقاء من غارات العدوّ . وهي مربعة الشكل ذات ثلاث اسواق راكزة على اربع سوار مربعة ضخمة . وكانت جدرانها مدبجة بالتصاوير النصرانية والنقوش الرمزية تعفت آثارها على تراخي الايام ، ولم يبقَ منها سوى آثار صورة قيامة السيد المسيح في صدرها . يتوسطها ناووس ينحدر اليه الزائر بدرج تجري فيه عين ماء هي عين قرية عمّاوس (لوقا ٢٤ : ١٣) كما اثبت غير واحد من المؤرخين . وقد عثر البندكتيون في ذلك الناووس على حجر نُقشت عليه كتابة لاتينية تشير الى فرقة عسكرية من الفرق الصليبية كانت تشغل تلك الكنيسة التاريخية الجميلة .

وصل اذاً الابوان برنزد وتيودور الى اورشليم ، وحلّا في نزل الآباء الفرنسيين ، ورحّب بهما السيد البطريرك لودفيك بياقي ، ومسيو اوزيب القنصل الفرنسي ، وحارس الاراضي المقدسة . وما عتم ان زارا قرية ابي غوش وتفقدا اخربتها وضواحيها وصمما على ترميمها غير مكترثين لما يعترض ذلك من الصعوبات والمتاعب والكلف .

واتفق ان السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني ، بطريرك السريان الانطاكي

زار الاعتاب الرسولية عام ١٨٩٩ ، على اثر ارتقائه الى السدة البطريركية عام ١٨٩٨ ، فالتمس من الاب الاقدس البابا لاون الثالث عشر ان يفوّض الى الآباء البندكتيين ابتناء اكليريكية في اورشليم يتلقى عنهم فيها العلوم الكهنوتية مَن يختارهم الله تعالى للدعوة المقدسة من ابناء ملته السريانية . فما كان من ذلك الحبر الكبير الّا ان تنازل واجاب الى ملتمس البطريرك الانطاكي واصدر رسالة كتب فيها ما خلاصته : « اني احمد الله عزّ وجل واثقاً بان يؤيد مشروعي هذا ويكمله . . . هذه مدرسة خامسة اشيّدها حباً لرجوع خرافي في المشرق الى الحظيرة البطرسيّة » .

بعد هذا يمم السيد رحماني فرنسة ، وزار عدة ابرشيات فيها ، وعرض على نيافة الكردينالين لنجينو وليكو وعلى مسيو دلكاسه وعلى رؤساء الرهبنة البندكتية رغبة الحبر الاعظم ورغبته هو في انشاء هذا المشروع الخطير . فأبدى الجميع ارتياحهم الى هذا العمل المجيد ووعدوه بصرف المساعي للنهوض به . بناء عليه طفق رؤساء تلك الرهبنة المباركة يقصدون مؤمني فرنسة المتازين بالسخاء والمكارم ، فجمعوا عام ١٩٠٠ مبلغاً من الاموال ارسلوه الى الاب برند المومأ اليــه في مشترى الربوة المشرفة على عين شيلوحا وعلى وادي يهوشافاط مكان ديرهم القـديم . وفي ٢٦ آب ١٩٠١ ، قرّر الكردينـال رئيس مجمع نشر الايمان المقدس استناداً الى تفويض البابا لاون الثالث عشر افتتاح الاكليريكية السريانية في القدس . وتم اتفاق الحبر الروماني وكردينال البروبغندا والبطريرك الانطاكي والسفير الفرنسي في رومية على ان يبتني البندكتيون الفرنسيون كنيسة في القدس واسعة متقنة على طراز الكنائس السريانية تقام فيها الصلوات الفرضية والاحتفالات الدينية باللغة السريانية ، ويؤسسون الى جانبها معهداً اكليريكياً يلقنون فيه طلّاب الدعوة المقدسة ما عدا الفرنسية اللغتين السريانية والعربية والطقوس البيعية .

بناء على ما تقدم غادر الاب بنوا غريادور الفاضـل عاصمة الكثلكة ، ووصل الى القدس في ٤ ايلول ١٩٠١ حاملاً رسائل التفويض في ابتناء الاكليريكية السريانية وترميم كنيسة ابي غوش . ويقصر اللسان عن وصف ما

عانى هذا الاب الغيور الورع من الاتعاب والمشقات في عنفوان الامر وما عالجه من الهموم والضيقات في سبيل هذا المشروع الجديد . فانه على رغم ما احاق به من الصعوبات لبث كالطود الراسخ لا تزعزعه العواصف ولا تلوي به الحوادث يردّد مراراً في كلتا حالتيَ عسره ويسره آية داود النبي : «ألقِ على الرب همك وهو يعولك» (مز ٥٤: ٢٣) . ومن ثم جدّد العزيمة على انجاز العمل ، فابتنى في مفتتح الامر غرفاً وان شئت فقل اكواخاً حقيرة من اللبن ثوى بها هو وستة من رهبانه وجعلوا يقضون معيشتهم بتقتير مكتفين بالنزر القليل طبقاً لعاداتهم لا يحرسهم الّا الامل والرجاء كمريض يتجرّع مرارة الدواء طمعاً بالحصول على حلاوة الشفاء . وما كاد ينهي الاب غريادور ابتناء تلك الاكواخ حتى أُلجِئ ان يقصد فرنسة المحسنة الكريمة في استئناف عمله انجازاً لرغبات ابي المؤمنين والبطريرك الانطاكي . وعاد عام ١٩٠٣ الى اورشليم مجبور الفؤاد لاهجاً بأطيب الثناء على اريحية الامة الفرنسية أمّ المكارم الغراء . واجتمع اليه يومئذٍ ستة رهبان جدد فصار عددهم اثني عشر راهباً ، بينهم الاب انسلمس شياس لاسال الرئيس الحالي . فكتب من فوره الى السيد رحماني يبشره بعقد النية على قبول طلبةٍ من ابناء الملة في الاكليريكية الجديدة . فطفح قلب البطريرك الانطاكي سروراً وشكراً وارسل اليه اربعة فتيان كانوا باكورة التلاميذ وصلوا الى القدس في ٢٥ ايار ١٩٠٣ ثم بلغوا خمسة عشر طالباً . واحتفل الخوري موسى سركيس[1] ، النائب البطريركي ، بالذبيحة الالهية اول مرةٍ على مذبح المصلّى الجديد . وتولّى الاب غريادور أمرهم يعطف عليهم عطف الامّ على افلاذ كبدها ويعاملهم معاملة أحنّ الآباء لابنائهم . وعيّن لهم أساتذة افاضل تولوا تدريسهم العلوم الابتدائية وفقاً للخطّة التي نهجها لهم هو .

واتفق لي اني حججتُ القدس عام ١٩٠٣ ، وانا شماس انجيلي ، وتعهدت تلك الاكليريكية الجديدة فرحّب بي الاب غريادور بابتسامته المعروفة ، وحادثني بعبارات اوعبت قلبي هيبةً واحتراماً . وكلفني ان ألقن تلامذته المبتدئين بعض

١) نصب اسقفاً على ابرشية حمص وحماة باسم اوسطاثيوس عام ١٩١٢ ، وانتقل الى جوار ربه عام ١٩١٨

الاناشيد السريانية تأهباً لتدشين المعهد البطريركي السرياني في القدس . فقضيت ثم اسبوعاً كاملاً . وعرفت اثناء مكوثي ضيفاً في اكواخ اولئك الآباء الاتقياء انهم يؤثرون التستر والعزلة ، ويدمنون الصمت والصوم والقنوت لا يهمهم أسكنوا اكواخاً ضئيلة ام اديارًا كبيرة . وصباح عيد انتقال العذراء المجيدة ، استصحبت اولئك التلامذة الى القدس ، وخدمت واياهم اول قداس احتفل به على مذبح مصلى مارافرام حضرة المونسنيور روفائيل جبري النائب البطريركي بحضور مسيو اوغست بوب (Bopp) القنصل الفرنسي الذي اشتهر بوفور غيرته على مصالح البندكتيين والسريان معاً في اورشليم.

ثابر الاب غريادور والاساتذة البندكتيون على تثقيف تلامذتهم الاوّلين يتجرّعون كاس الضيق المريرة لسبب قلّة ذات يدهم ، ويلاحظون انهم في حاجة الى استدرار عوارف المؤمنين الرنسيين تكميلاً لنياتهم المجيدة. ومن ثم قصد رئيسهم العام الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر واستعطفه لانجاز مشروع سالفه فأصدر رسالة مؤرخة في ١٩ نيسان ١٩٠٤ ورد فيها ما شرحه : « اننا نلفت انظار اولادنا المؤمنين الكرام الى تلبية رغائب اولادنا الرهبان البندكتيين المحبوبين في سبيل مشروعهم المبارك في اورشليم ، ونمنح المرسلين والمحسنين كافة البركة الرسولية . »

ونظرًا لثقة الحبر الاعظم بالاب غريادور عيّنه في ١ كانون الاول ١٩٠٧ زائرًا رسولياً للرهبنات المارونية الثلاث . فأقبل الى لبنان في كاهنين احدهما دومنكي والآخر فرنسيي ، وجعلوا يطوفون الاديار ديرًا ديرًا ويختلون بالرهبان واحدًا واحدًا عاملين على نجاحهم وتعزيزهم بما يتخذونه من الذرائع الفعّالة تحقيقاً لرغبات ابي المؤمنين . وبعد ان انجز الاب غريادور مهمته عاد الى القدس .

وكان الآباء البندكتيون في تلك الغضون منهمكين في ترميم كنيسة ابي غوش وابتناء غرف لسكنى الرهبان . وما ان واصلوا ذلك العمل الشاقّ مدة ثماني سنوات حتى قيّض الله لهم ان يدشّنوها باحتفال شائق في ٢ كانون الاول ١٩٠٧ ، بحضور رئيسهم العام وعشرين راهباً من رهبانهم . ونصبوا في زاوية الكنيسة رخامة نقر عليها خلاصة تاريخها وترميمها . واصبحت ابو غوش مذ ذلك

مصيفاً لتلامذتهم السريان يقضون فيها شهري العطلة السنوية . وقد حسّنها الرهبان تحسيناً محسوساً بما زرعوا فيها من ضروب الاشجار وكروم العنب والتين.

على ان الآباء البندكتيين توصلا الى غايتهم الشريفة في تعزيز مركزهم بجبل الزيتون ، اصدروا منذ ايار ١٩١٢ مجلة في بوردو طفقوا ينشرونها مرة في كل شهرين بعنوان «رسالة البندكتيين السريانية في الشرق» (La Mission Syrienne des Bénédictins en Orient.) ويُثبتُون فيها من المواضيع ما له علاقة بالبطريركية الانطاكية والملة السريانية . ولم يحجموا عن استئناف اعمالهم في نجاح الاكليريكية السريانية ، حتى اشتعلت نيران الحرب الكونية عام ١٩١٤ فاضطروا ان يغلقوها ويقصدوا فرنسة وينضموا الى السلك العسكري . وقد ذهب غير واحد منهم ضحية الوطن . وظلّ احدهم وهو الاب منصور متولياً رئاسة او حراسة الدير . اما التلامذة وكانوا ثمانية عشر ففريق منهم ، وهم المبتدئون عادوا الى بيوتهم ؛ والفريق الآخر، وهم الكبار ، اقبلوا الى دير الشرفة بامر السيد البطريرك وانجزوا دروسهم وارتقوا الى الدرجة المقدسة .

دارت الايام دورتها ، ووضعت الحرب اوزارها ، وعاد من نجا من غوائلها الى القدس عام ١٩١٩ ، فاتفق رؤساء الرهبنة على تعيين الاب انسلمس شياس لاسال للنهوض بالعمل الذي بدأوا به لِمَا رأوا فيه من الجدارة والكفاءة .

٣

الاب انسلمس شياس لاسال

رئيس الاكليريكية السريانية .

ابصر النور في ٦ ايار ١٨٨٤ ، وتلقى العلوم في مدينة پو (Pau) وانضم الى الرهبنة البندكتية عام ١٩٠٢ في دير بيل لوك (Bel - loc) قرب بيّون (Bayonne) . واقبل في السنة ١٩٠٥ الى اورشليم ، وأكبّ اربع سنوات على درس العلوم اللاهوتية والكتاب المقدس في مدرسة الآباء الدومنكيين . وارتقى الى الرتبة الكهنوتية في ٢٥ ايار ١٩٠٧ .

وعام ١٩٠٩ يمّم دير الشرفة يصحبه الاب جوليان پرياد، وقضى عشرة شهور

مواظباً على درس العربية والسريانية . وانتهز الفرصة فضبط الاناشيد السريانية على الاصول الموسيقية . ثم عاد الى القدس وتولى التعليم في الاكليريكية السريانية اربعة اعوام . حتى اذا كانت السنة ١٩١٤ سافر الى فرنسة ، وانخرط في السلك العسكري وضمّ الى مصاف الممرّضين . ونظراً لخبرته باللغة العربية عينته الحكومة ترجماناً ، فنهض بتلك الخدمة سنتين كاملتين بكل امانة واخلاص حتى استحقّ ان يكلل صدره بنوط صليب الحرب مكافأة لغيرته وامانته .

وبعد الحرب قفل راجعاً الى القدس ، وقد اناط به رؤساؤه إدارة الاكليريكية الكهنوتية عام ١٩١٩ ، وعهدوا اليه أمرها . فشمّر الاب انسلمس للعمل دون كلال وبالغ في ترقيتها وحصل في زمن وجيز على ثقة صاحب الغبطة البطريرك الانطاكي . فطفق يوجّه اليه طلاباً من جميع الابرشيات السريانية ، فنما عددهم وازداد حتى بلغ الخمسين في يومنا .

ولفرط شغفه بالطائفة السريانية ولغتها وليترجيتها القديمة اخذ يبثّ هذا الروح الطيّب في افئدة آباء الرهبنة ، حتى ان بعض اولئك الآباء الافاضل ، وهو الاب بونوتور اوباك الإسبانيّ الجليل ، احكم اللغة السريانية واتقن ليترجية البيعة الانطاكية وكتب الى الكرسي الرسولي يستأذنه في اقامة الذبيحة الالهية حسب الطقس السرياني اثناء جولة جالها في ابرشية حمص وحماة وبغداد واطراف ما بين النهرين .

وعلى رغم قيام الاب انسلمس بمهامّ الرئاسة في الاكليريكية الاورشليمية صرف العناية في نشر الانغام السريانية مضبوطة على الاصول الموسيقية . وكان الاب جوليوس جنّان البندكتي قد باشر العملّ منذ السنة ١٨٩٧ ، اذ اقبل الى دير الشرفة بتفويض من السيد اغناطيوس بهنام الثاني (١٨٩٧†) واقام فيه زمناً طويلاً يتلقّف الانغام عن كبار التلامذة ويضبطها بالنوط : ثم سافر الى الموصل وماردين في هذا السبيل وعاد الى فرنسة ولم يتهيأ له نشر ما اعدّه منها ، حتى اقبل الاب انسلمس والاب جوليان بوياد الى دير الشرفة كما قلنا . فانصرفا الى مراجعتها وضبطها ، وعوّلا على نشرها في المطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩١٤ . بيد ان الحرب الكونية حالت دون انجاز رغبتها الشريفة ، فسقط

الاب جوليان في ساحة الوغى قتيلًا ، في ١٢ تشرين الاول ١٩١٤ في كران . ونجا الاب انسلمس وعاد الى القدس . وفي السنة ١٩٢٤ نشر مقدمة علمية تاريخية في ٣٠٠ صفحة عن اصل الالحان وفصلها باسمه واسم الابوين جنَّان وپرياد . استأنف نشر الالحان باجمعها على الاصول الموسيقية في تلك المطبعة ، حتى اتى عليها بعد تعب جزيل استغرق اربع سنوات ، يعاونه في ذلك كاتب هذه الحروف والاب زكريا ملكي تلميذه . واستهل الكتاب بمقدمة ذات ٢٧ صفحة تستحق الثناء والاعتبار. وبعمله هذا خلف الاب انسلمس للطائفة السريانية مأثرة جميلة ثمينة تشكره عليها شكرًا جمًا على كرور الاحقاب.

وفي نيسان ١٩٢٥ كتب الاب يوسف ربَّاني ، النائب البطريركي في القدس ، الى السيد البطريرك رحماني يستقدمه للاحتفال بوضع الحجر الاول لكنيسة مار يوسف في بيت لحم . فاغتنم الفرصة الاب انسلمس ورفع الى السيّد البطريرك عريضةً يتوسل اليه فيها ان يرقّي احد تلامذته ، وهو الشماس زكريا ملكي ، الى الرتبة الكهنوتية . فسافر السيد رحماني الى اورشليم مستصحبًا السيد اقليميس ميخائيل نجَّاش ، والخورفسقفوس انطون قرواني ، وكاتب هذه السطور ، واحتفل بطقس السياميذ صباح الاحد ٣ ايار في كنيسة نوتر دام دفرنس احتفالًا شائقًا جدًّا لم نشاهد له مثيلًا . وتولّى الاب انسلمس ادارة الاحتفال والاناشيد السريانية مع جمهور تلامذته على نسق مهيب جميل مؤثر جدًّا . وبعد هذا رقى صاحب الغبطة الاب يوسف ربَّاني[1] الى رتبة خورفسقفوس .

وفي نواحي السنة ١٩٢٦ اوعز الكرسي الرسولي الى الاب انسلمس ان يشرف على الرهبنات الرومية الملكية الثلاث مع السيد مكسيموس صائغ متروبوليت صور ، والاب وانيس المرسل اللعازري . فغادر الاب انسلمس القدس الشريف ، واقبل الى لبنان يجول مع رفيقه الاديار الملكية ويبعث بخلاصة ما يعاينه ويسمعه الى الكرسي الرسولي . وعلى رغم تشبّثه بتلك الزيارة الرسولية كان يغدو ويروح الى القدس ، ليطّلع على احوال تلامذته وينشطهم الى مواصلة العلوم الكهنوتية . وبعد ان قام بتلك الخدمة الشريفة ثلاثة اعوام ، ناب منابه

١) ارتقى الى الكرامة الاسقفية على ابرشية حمص وحماة وتوابعهما في ٢٩ ك٢ ١٩٢٨

فيها سالفه في رئاسة المدرسة الاورشليمية اعني الاباتي غريادور الفاضل.

وقد اعرب الاب انسلمس عن عواطف احترامه واجلاله للسيد رحماني الحميد الاثر، فكان يراجعه في صعوباته ويعمل طبقاً لمشوراته. ولما انتقل ذلك الحبر الانطاكي الى جوار ربه في القاهرة في ٧ ايار ١٩٢٩ أبى الا ان يبدي للراحل الكبير عربون معرفة الجميل، فتوجه من القدس الى يافا في ١٥ ايار مستصحباً بعض الآباء وجمهور الاكليريكيين. وقصدوا الباخرة پيرلوتي التي كانت تقل جثمان الفقيد المغبوط ورتلوا هناك باجمهم صلاة الجناز ثم ودعوه وعادوا الى القدس. وانضم رئيسهم الاب انسلمس وبعض الكهنة الى زمرة القادمين من مصر، واستأنفوا السير الى بيروت، ولفظ في كنيسة مار جرجس الكاتدرائية السريانية تأبيناً بليغاً مؤثراً جداً اعرب فيه باسلوبه الفرنسي النادر عن معرفة الجميل لذلك الحبر الانطاكي النبيل وفاض لسانه بما كان يشعر به قلبه من عوامل الامتنان للسيد رحماني الذي كان السبب في انشاء المعهد الكهنوتي في اورشليم، ووصف مناقبه ومآثره النفيسة والعلمية بعبارات فصيحة بليغة.

وللاب انسلمس مواقف خطيرة في الخطب العلمية والرياضات الدينية التي اعتاد القاءها في عدة معاهد وكنائس واديار لا في المدينة المقدسة فحسبُ بل في انحاء القطر المصري ايضاً. فهو يختلف الى ذلك القطر مراراً في السنة ويضرم افئدة المؤمنين باجيج كلام الله ويمهد لهم السبل البلوغ الى الغاية القصوى.

كبرت الآمال بنجاح الاكليريكية السريانية في اورشليم على يد رئيسها الاب انسلمس الهمام. ولما استلم عصا البطريركية الانطاكية سيدنا اغناطيوس جبرائيل الاول عام ١٩٢٩، وعوّل على تعزيز اكليريكية دير الشرفة انتدب الاب انسلمس وكاشفه في ضم الاكليريكيتين الى اكليريكية واحدة. فما كان من الرئيس الا ان كتب الى الاب العام في الامر. وتم الاتفاق اخيراً بين صاحب الغبطة وبينه على ان تختص اكليريكية القدس بالعلوم الثانوية، واكليريكية دير الشرفة بالعلوم الفلسفية واللاهوتية. وهكذا انتقل كبار الاكليريكيين من القدس الى دير الشرفة في ايلول ١٩٣١. وتولى تعليمهم اربعة من اشهر الآباء البندكتيين علماً وفضيلة يسيرون باجمهم وفقاً للخطة التي اختطها لهم الاب انسلمس

بالاتفاق مع الحبر الانطاكي ورئيس البندكتيين العام. وجعل مذ ذاك يختلف الى دير الشرفة احياناً يفحص التلامذة ويقف على حالتيهم الروحية والعلمية.

وعلاوة على ذلك كله، فقد كلفه السيد البطريرك ان يحبب الى بعض التلامذة روح العيشة النسكية وفقاً لقوانين الرهبنة البندكتية لِمَا يُرجى من ذلك من الفوائد العائدة الى نجاح الملة ورقيها.

وقد خرج من الاكليريكية الاورشليمية حتى اليوم احد عشر قسيساً. وقريباً ان وفق الله، اعني في حزيران الحاضر، سيرقي صاحب الغبطة ستة شمامسة من تلامذة الاب انسلمس الى الرتبة الكهنوتية في دير الشرفة.

اما الآباء الكهنة السريان الذين تولوا تعليم السريانية والعربية في الاكليريكية الاورشليمية تحت ادارة رئيسها الاب غريادور والاب انسلمس الفاضلين فهم: الاب انطون مطلوب (١٩٠٥ – ١٩٠٨)، والاب عبد المسيح زهر (١٩٠٨ – ١٩١٣)، والاب بولس سباط (١٩١٣ – ١٩١٤) والاب يوحنا مستكاوي (١٩١٩ – ١٩٢٦) والاب زكريا ملكي (١٩٢٦ – ١٩٣٢) والاب يوحنا عزو (١٩٣٠ – ١٩٣٢) وما برح اولئك الاساتذة وتلامذتهم يلهجون بالثناء على ما تجشمه ويتجشمه هذا الاب الغيور في سبيل تعزيز المعهد الاكليريكي الاورشليمي من الاتعاب والمشقات التي لا يدفعه اليها الا روحه الطيّب وروح رهبنته المجيد.

* * *

تلك عاطفة اخلاص املاها عليَّ الولاء والوفاء لاثبت في هذه العجالة بعض مآثر الرهبنة البندكتية، ومزايا هذا الاب المفضال الذي تربطني به صلات متينة منذ نيّف وعشرين سنة. وقد عرفه تلامذته، كما عرفته انا، أباً مفعماً حبّاً وبشاشةً ورئيساً موعباً غيرة ورزانة. فحملهم البرّ البنوي على نشر «نداء» بامضاء احدهم اعني الاب يوحنا مستكاوي، النائب البطريركي في القدس، يدعون رؤساء الملة السريانية واكليرسها واعيانها ليشاطروهم ابداء عواطف الامتنان والشكران لهذا الاب الورع التقي. وحسبُه انه فرعٌ من فروع تلك الدوحة البندكتية المباركة التي تفيأ ابناء الكنيسة المقدسة منذ اربعة عشر قرناً بوريف ظلال احبارها وملافنتها المعظمين وقديسيها ورهبانها الصالحين.

الفرنسويون في سورية

في القرنين السادس والسابع للمسيح

بقلم الاب لامنس اليسوعي

تكلمنا في السنة الفائتة[١] على « السوريين في فرنسة في القرنين السادس والسابع للمسيح » مجتهدين في تلخيص ما لا يعرفه اكثر قرائنا عن العلاقات السورية - الفرنسية في ذاك العهد . فاظهرنا كيف طبّق الشعب السوري ما ورثه عن اسلافه الفينيقيين من حب الاسفار والرغبة في المغامرات التجارية ، فطاف البحار نازلاً بلاد غالية وازدهر فيها حتى حوّلها ، على عهد الميروفنجيين ، بين القرن الخامس والقرن الثامن للمسيح ، الى مستعمرة اقتصادية متعلّقة بسورية .

وقد رأينا اليوم ان نعكس المشهد فنعتبر الوجهة الثانية من الامر ، ملخّصين علاقات الفرنسويين بسورية منذ ديانتهم بالنصرانية حتى عهد شارلمان او كرلوس الكبير ، ذاكرين العوامل التي اثّرت في سياسة الامبراطور العظيم الشرقية ، وفي علاقاته مع الخليفة هرون الرشيد .

* * *

ان من يمن النظر في مسطّح سيّارتنا الصغيرة ، ويدقّق في درس جغرافيتها التاريخية ، لا يلبث ان يتحقق قلة البلدان المثقلة بالتاريخ والشعر والفنّ . وان المنطقة التي تشمل سورية وفلسطين لمن هذه البلدان القليلة فهي تحتل في ذلك مركزاً خطيراً الى جنب رومة واليونان . وان ماضيها وآثارها ولا سيما آدابها

---

١) راجع المشرق (٢٩[١٩٣١] ٢٤١ و٤٣٢)

الدينية لقسم مهم في ذاك الارث العقلي الذي تتوارثه الشعوب ؛ كما انها هي الوطن الروحي لكل انسان يدّعي الثقافة والتهذيب.

هذا ولو اخذنا بتقويم تاريخي لمدنيتنا الحاضرة فجعلنا نعدّ المدن التي اثرت فيها تأثيراً شمل الكون بأسره او كاد ، لما تجاوز بنا العدد الخمس او الست من هذه المدن العالمية ولكان من نصيب سورية منها اثنتان شهيرتان هما اورشليم وانطاكية . ويمكننا ان نضيف اليهما مدينة تُحسب بحق مستعمرة سورية ، وهي قرطاجة التي عدّها لويس برتران « من المدن الاربع او الخمس التي كانت عواصم العالم القديم . » وقد كان من عظمة حفيدة صور هذه ان البشرية كانت ، لقرنين قبل المسيح ، تنظر بقلق الى ذاك النزاع القائم بينها وبين رومة ، فتسأل نفسها هل يمكن ان تصبح يوماً ما مستعمرة فنيقية . . .

ان من يزور سورية ويتفقد معالمها ويدرس تاريخها يشعر بانه يفهم اكثر من ذي قبل اصول الجنس البشري واسرار مصيره ، بل يشعر بانه اقرب الى الفردوس المفقود . هذا ما يُعبّر عنه بجاذبية الشرق ، وهي جاذبية لا تُنكر . فانها تشرح لنا خمسة عشر قرناً من التاريخ . فنتحقق انها هي التي أثرت في القرون الوسطى وانالتها الكثير من المعارف ، وهي التي دعت الى الحركة الصليبية ، وهي التي سبّبت تأسيس الامارات وانشاء المستعمرات الفرنجية في الشرق الادنى . وهي التي انالت « معضلة الشرق » معنًى سامياً اذ ادخلت فيها عنصراً روحيًّا ارفع من الرغبة في ملكية بترول الموصل ، او السيطرة على طريق الهند ، او التسلّط على سكة حديد بغداد . . .

هذا الدافع الروحي نحو الشرق نراه يهيب بالفرنسويين منذ اهتدائهم الى النصرانية . وقد عملت على تعزيزه وتقويته في نفوسهم تلك الحملات الجرمانية التي اكتسحت بلادهم فتركت فيها الخراب وكادت تعيدهم الى حالة الفوضى والشقاق . عند ذاك لفت الغاليون انظارهم نحو الشرق الساطع ، مهد المدنية ومنبع النور (*ex Oriente Lux*) الذي كان لا يزال ، في العالم المتمدّن ، مركز السياسة والاقتصاد والثقافة والدين . ويجدر بنا هنا ان نحدّد ذاك الشرق الذي اتجهت اليه انظار جدودنا . فانهم لم يؤخذوا بالشرق اليوناني - البيزنطي

او الاناضولي حيث كانت قد انتقلت عاصمة السلطة الامبراطورية ؛ بل اتجهوا في ذاك الحين ، اي في فجر القرون الوسطى ، الى ما ندعوه اليوم بالشرق الادنى اي الى سورية.

***

ولنجتهد الآن ، كي نفهم حق الفهم طبيعة هذه الجاذبية العجيبة ، في ان نتصوّر ما كانت عليه سورية اذ ذاك — وما قد يمكنها ان تكون عليه غداً . . وليس افضل من ان نقرأ وصفاً لسورية كتبه ، باللغة اللاتينية نحو السنة ٣٥٠ للمسيح ، الفيلسوف جونيوس[1] . فترك لنا صورة رائعة لبلاد آلفها العمران ، وخصها الله برخاء عجيب ، فرتع سكانها في الترف ما شاؤوا غير مهتمين بما قد يأتي به الغد . وقد عدّد جونيوس « مدائنها التجارية الطافحة بالثروات » و« مدائنها الصناعية كطرابلس وبيبلوس » . اما « هليوبوليس (بعلبك) القريبة من لبنان فيعيش فيها نساء عجيبات الجمال يُدعين باللبنانيات « (quas Libanitidas appellant) . وهذه حجة لطلاب « لبنان الكبير » اخشى ان يكونوا قد اهملوها ، عندما طالبوا باستقلال لبنان بحدوده الجغرافية القديمة . وعلى كل فما يؤسف له في هذا الشرق العريق في القدم ان السياسة لا تهتمّ الاهتمام الكافي بالآثار القديمة . وبعد عصر جونيوس بقرنين مرّ الزائر البليزنسي الشهير (l'Anonyme de Plaisance) في هذه البلاد ، فاشار الى جمال اليهوديات الفائق اللواتي شاهدهنّ في الناصرة[2] وقال « انهنّ يشكرن على ذلك مريم العذراء التي يؤكدن انها كانت نسيبتهن » . ولنعد الى جونيوس فنرى انه بعد ذكر بعلبك يتابع لائحته بذكر « المدائن الحسنة الجيدة كصيدون (صيدا) وساربتا (صرفند) وبتوليايس (عكا) ودمشق . » ثم يأخذ بالتفصيل فيشير الى ما اختصت به كل مدينة فكان سبب غناها ، ذاكراً ان صناعة الكتّان مزدهرة في اللاذقية وبيبلوس وصور وبيروت ، وصناعة الارجوان في صرفند ، وقيسارية ونابلس ، وان دمشق تصدر الفستق والفواكه المتنوّعة . وفي جميع الانحاء يرى الغنى وسهولة

(١) اطلب Ammien Marcellin, XIV, 8

(٢) راجع في ذلك رحلته : *Itin. hierosol.* (éd. molinier), 93

العيش يدفعان الى الترف والى تطلّب الملاهي المختلفة ، « وقد اشتهرت انطاكية واللاذقية وصور وبيروت بتقدّم الالعاب في ميادين السباق . » وهنا ايضاً نرى لكل مدينة اختصاصها كما في الصناعة والتجارة . ففي كل منها فئة من اللاعبين يختصّون بنوع من الملاهي ، وتختصّ بهم المدينة ، حتى انها تتكفّل عند الحاجة بامداد جاراتها بهم . وهكذا كانت « اللاذقية تختص بالقياسين او الذين يُرسلون الخيول في المضمار ، وصور وبيروت بالمقلّدين وممثلي المهازل ، وقيسارية بالممثلين بالايماء ، وبعلبك بالزامرين ، وغزة وعسقلان بالمبارزين والمصارعين . »

ولا شكّ ان اخبار هذه السعة في العيش كانت تدفع قدماء الغاليّين الى التفكير الطويل والمقابلة بين حياة ذاك الشعب السعيد وحياتهم هم تحت سمائهم المدلهمة بالخطوب ، في بلادهم الآهلة بالخراب على اثر تلك الاكتساحات . هذا ولم يبالغ جونيوس في شيء . نرى ذلك في اقوال غيره من السيّاح والزوّار . فنتحقق انه بينا كانت رومة تنحدر شيئاً فشيئاً نحو الانحطاط ، كانت مدائن الشرق الكبرى كالاسكندرية وانطاكية واورشليم تجمع في احشائها ثروات العالم المتمدن . ولم تكن لتُهمل مولدات العقل وآثار الثقافة . وها ان القديس ايرونيموس يأتي سورية مفتشاً عن مركز موافق يتابع فيه ابحاثه في العلوم المقدسة . وها ان القديس يوحنا فم الذهب يدشّن الخطابة المسيحية الرائعة . وها ان مدارس قيسارية وغزة وصور وانطاكية تنال شهرة عالمية بتدريسها جميع العلوم اليونانية .

واذا القينا نظرة على خارج البلاد السورية نرى ان اثينة وبيزنطية تتنافسان في الحصول على الخطباء والاساتذة السوريين . بينا كان السوريان برفيروس ويامبليكوس يبسطان الفلسفة الافلاطونية الحديثة وينشرانها بين المتأدّبين . فيبدو لنا ان احفاد الفنيقيين ، مَن قد يخالهم العالم مهتمّين بالشؤون المادّية فحسب ، لم يقصّروا عن الدرجة الاولى في شيء من علوم عصرهم وآدابه . حتى ان رومة تظهر مدينة لهم باميان مرسلان آخر من ظهر فيها من كبار مؤرخي اللاتين . اما بيروت فكفاها فخراً ان اساتذة مدرستها البعيدة الصيت كانوا يعدّون موادّ قانون يوستنيانوس الشهير .

ثم اننا نرى ، الى جنب هذه المظاهر العقلية ، فنّاً مبتكرًا عجيباً ينمو ويزدهر . فيظهر ابتكاراته في هندسة البناء خصوصاً ، اذ يستقلّ بجرأة عن التقاليد المتداولة ، فينصرف عن استعمال الملاط والطين ، مستنداً الى نواميس الموازنة وحدها في اقرار منشآته واثباتها الى الدهر . اما في النحت والتصوير فمال الفنّ السوري ايضاً الى الاستقلال منحرفاً عن التقيّد القديم بتمثيل الطبيعة كما هي ، وتصوير الاعضاء المجرّد ، ذاك التقيد الذي كاد يحطّ من شأن الفنّ اليوناني . فعمل السوريون ، والحالة هذه ، على اعداد الفنّ المسيحي المزدهر في القرون الوسطى ، وكان لهم الفضل بان بدأوا يحرّرون الآثار الفنية من ربقة تمثيل العري والاشكال التصويرية كما هي مجردة عن كل تحسين وتجميل . ولم يكن فنّهم ضعيفاً غشياً غير مصقول كما زعم بعض الباحثين . بل ان ما فيـه من الاقتصار والاقتضاب المقصودين كان من شأنـه ان يجعله لائقاً بالعبادة الروحية وبالدين الانجيلي الذي يعبد فيه الانسان « بالروح والحقيقة » . واننا نرى في سورية ، منذ القرن الرابع ، اشهر الامثلة للكنائس والابنية الدينية التي اتخذها العالم المسيحي بعد ذاك

هذه اهم العناصر المختلفة التي كانت تلفت اذهان الزوّار والسيّاح فتجذبهم الى سورية في ابتـداء القرون الوسطى . فكانوا اذا ما نزلوا شواطئ فنيقية المشعّة بالانوار ، يرون انفسهم وقـد نُقلوا الى محيط عجيب باهر بسعة العيش وكثرة الترف وازدهار الفنّ . فيجولون في ساحات واسعة انيقة ، تطيف بهـا الاروقة الرشيقة ، ويدخلون كنائس فخمة تتعدّد فيها الاعمـدة ، وترتفع في زواياها الابراج ، وتحيط بها القبور الجميلة . ولا نزال حتى اليوم نشاهد الامثلة على تلك الهندسة السورية في اطلال المدن الخربة المنتشرة في نواحي انطاكية وحلب وافامية ، وجنوبي دمشق ، وفي حوران .

« وان من جال في تلك الشوارع المقفرة ، والساحات المهجورة ، والاروقة التي تتعرّش دوالي العنب على اعمدتها المقطوعة ، شعر بعاطفة تشبه العاطفة التي تتملك من يزور بومبي في ايطالية . » وكل هذه الاطلال « تؤلف مجموعاً لا يمكن ان تنتزع منه شيئاً . بل تتحد كل اجزائه وتترابط وتنتسب الى طراز

واحد والى عهد واحد ، هو عهد النصرانية الاولى الممتدّ من القرن الرابع الى القرن السابع للمسيح . »[١] وقد توقّف ازدهار هذا الفنّ الجميل على اثر الفتوحات العربية.

***

هذه حالة سورية المزدهرة التي كانت تصل اخبارها الى غالية ؛ فيقابل بها الغاليون حالتهم الضنكة وما اصبحوا فيه من الشدة منذ دخول الطغمات البربرية بلادهم وتضييقها عليهم في القيام بشعائر دينهم . وكان اكثر المكتسحين لا يزالون على الوثنية ، او انتقلوا الى البدعة الاريانية فكانوا من اشدّ اصحابها غيرة واضطهاداً لمن لم يوافقهم . فجعل الغاليون يتوقون الى زيارة سورية حيث يرون تلك الغرائب التي سمعوا بها ويتشوّقون بالاقامة في بلاد تنتصر فيها المسيحية الحقّة ، فيمكنهم التبرّك بالاراضي المقدسة ، والسير على آثار السيد المسيح في الطرقات التي سار فيها ، ومشاهدة اماكن الفداء التذكارية ، وقد قامت في جميعها الآثار الفخمة والكنائس الرائعة البهجة بما زُيّنت به من الذهب والرخام وانواع الفسيفساء.

وكان الشوق يحدو بهم ، كما حدا بلامرتين بعدهم باربعة عشر قرناً ، الى « مشاهدة تلك الجبال التي كان ينحدر منها الله ؛ وتلك القفار حيث كانت الملائكة تتقدّم فتدلّ هاجر على الينبوع الخفي لتجدّد بمائه قوى ابنها المسكين . . . وتلك الانهر التي كانت تخرج من الفردوس الارضي ؛ وتلك السماء حيث كانت الملائكة تُنظر منحدرةً صاعدةً على سلّم يعقوب . »[٢] وما هو ان سافر اول وفد ، حتى لحقه جيش من الزوّار عديد فتدافع حتى لا يقوى على ايقافه شيء . وكانت حركة تلك القوافل المتتابعة على مئات السنين.

ولكن كم كانت هذه القوافل غريبة التشكيل متنوّعة العناصر . كانت الوفود تتقدّم من اقصى حدود غالية ، على قول القديس ايرونيموس (*de ultimis Galliae finibus*) وقد كان لمواعظ الفنان الدلماتي الشهير تأثير مهمّ

١) De Vogüé, *Syrie centrale*, p. 7-8.

٢) Lamartine, *Voyage en Orient*, 20 mai 1832.

في حثّ سيرها . فانه لم يكتفِ بان دفع سراة الرومانيين الى زيارة الاراضي المقدّسة ، بل دعا الى ذلك ايضاً جمهور اصدقائه الغاليين. فكان اولئك الزوّار، اذا ما وصلوا ارض فلسطين ، لا يحجمون عن جولة في سورية بكاملها ، معتبرين ان جميع هذه البلاد قسم من ارض الميعاد . وهكذا كانت خطة التجار الغاليين ايضاً الذين كانوا يسيرون في طلب الافاويه والطيوب والحرائر ، وخمرة غزة وصرفند ، تلك الخمرة الفائقة التي تُعدّ بحق خير سابقة لخمرة لبنان الذهبية . وكثيراً ما وصل الزوّار في سفرتهم الى انطاكية ليحيّوا القديس سمعان العمودي الذي كان يعيش منذ ثلاثين سنة على قمة عموده الغريب. وكان القديس المذكور يكلّفهم ان يقرأوا السلام ، من قبله ، حال رجوعهم الى الوطن ، على القديسة جنفياف التي اصبحت فيما بعد شفيعة باريس.

وما لبثت حركة هذه الزيارة ان عمّت جميع طبقات المجتمع فشاهدنا بينهم اساقفة تور وباريس . اما اسقفا أرل ومرسيلية فانهما لجأا الى فلسطين بعد ان طردهما البيلاجيون . وكأنّ امراء الميروفنجيين ارادوا ان يسنّوا لخلفائهم تلك الخطة الصالحة التي سار عليها هؤلاء على اختلاف نزعاتهم ، فجعلوا يرسلون الوفود حاملةً الى الهياكل الفلسطينية التقادم النفيسة الدالة على مبلغ تقواهم وكرمهم الملوكي . ويذكر التاريخ ان الملكة راديغوند طلبت من احد الزوّار ان يأتيها بذخيرة تضعها في ديرها القائم في پواتيه . وسنعود الى ذكر هذه الرغبة الآخذة من القوم في الحصول على الذخائر . اما الآن فيكفينا ان نتحقق ان الشعب بكامله ، ملوكاً ورعيةً ، مرؤوسين ورؤساء ، كان يرمي بانظاره الى البلاد السورية - الفلسطينية . وكان الزوّار ، اذا رجعوا من رحلاتهم ، يأخذون بسرد الاخبار العجيبة والروايات الغريبة عمّا شاهدوا وسمعوا ، معززينها بالتذكارات والذخائر . ويتناقل القوم احاديثهم فيتوسّعون فيها ويزيدون عليها، فينشرون في جميع انحاء البلاد فضائل الارض المقدّسة ويثيرون في جميع الافئدة الميل الشديد الى زيارتها. وقد روى غريغوار التوري ، في كتابه (*De Gloria martyrum*) ان حدّثه احد شمامسة تور بعد رجوعه من فلسطين انه شاهد في بيت لحم بئراً كانت العذراء مريم قد استقت منها في ما سلف . فاصبح

في قعر تلك البئر كوكب يتموّج . ومن شاء ان يراه وجب عليه ان يستر رأسه بمنديل . على ان هذه الطريقة ايضاً لم تكن تكفي لرؤية ذاك الكوكب الّا اذا كان الناظر طاهر القلب نقي الضمير . والّا فلا يراه . ثم اكد الشماس التوري انه جرّب خمس مرّات فلم يتوفق الّا مرتين لمشاهدة ذاك الكوكب العجائبي « الذي ظهر في ما مضى للملوك المجوس . »

***

ولما كان عدد المسافرين على تكاثرٍ متواصل ، كان من الضرورة ان يهتمّ البعض بوضع « الادلة » لفائدة الزوّار . وهو برهان يدلّ على ازدياد تلك الرحلات واتساع نطاقها، كما ان ادلة جوان وبيدكر تدلّ في عصرنا على الرغبة في السياحة والجولان . وان اقدم دليل نعرفه هو المنسوب الى بوردو (*Itinéraire de Bordeaux*) . وهو يذكر بكل اقتضاب وجفاف المراحل التي نزلها الكاتب ومحلّات تغيير الخيول وما بينها من الابعاد، وذلك من بوردو ، عاصمة الغارون ، حتى اورشليم ، مارًّا بشبه جزيرة البلقان والقسطنطينية وبلاد الاناضول .

ومن صفات هذا الدليل ما يظهر انه كُتب خاصة او أُصلح لفائدة زوّار الشرق . وذلك انه ، اذ يصل الى ذكر منطقة فلسطين ، ينصرف عن اقتضابه المعتاد ، فيتوسع في الاشارة الى التذكارات القديمة الموجودة في المناطق التي يمرّ فيها المسافر . ولا يخفى ما لهذا المستند الراقي الى سنة ٣٣٣، من القيمة الثمينة . واننا نحن مديونون لغيرته واهتمامه بمعرفة عدة محلّات جغرافية ذكرها على شواطئ فنيقية ، ولم يذكرها سواه . ومن محاسنه انه يبيّن بكل دقة حدود المقاطعات ، وهو يجعل الحدّ الفاصل بين فلسطين وسورية الى جنوبي الكرمل هذا ولا يظهر ان اصدقاءنا الانكليز عرفوا هذا الدليل ولا استفادوا من هذا المستند المترفع عن كل ميل حزبي ؛ ولا يظهر كذلك ان رجال السياسة الفرنسوية فكّروا بالرجوع اليه ، عندما شاء هؤلاء واولئك تعيين الحدود بين منطقتي الانتدابين .

وهناك ادلة أُخر كدليل القديس اوشر ، اسقف ليون في القرن الخامس ، ولكن هذا لا يهتمّ الّا بفلسطين . وهو ايضاً يجعل جبل الكرمل ضمن حدود فنيقية اي سورية .

(البحث صلة)

محاولات في درس جبران

الجوهر الفرد

في ادب جبران خليل جبران

بقلم امين خالد

١

توطئة

ان رأيت شاعراً من الشعراء ، او عالماً من العلماء ، او نبيلاً في قومه ، او داعياً في امته ، قد انقسم الناس في النظر اليه وفي تقدير منزلته انقساماً عظيماً ، فافتتن بحبه قوم حتى رفعوه الى رتبة الملك ، ودان ببغضه آخرون حتى هبطوا به الى منزلة الشيطان ، فاعلم انه رجل عظيم .

المنفلوطي

هذا هو راي الاديب المنفلوطي في آية العظمة . واذا نظرنا الى جبران بهذا الاعتبار كان رجلاً على شيء من ذلك بسبب ما ناله من شهرة واسعة . وحريّ بنا ان نتأمل ملياً سرّ هذه الشهرة، ونعرضها بتروٍ على محك النقد النزيه لنجلو منها الجوهر الفرد ، ونعرف قيمة جبران الحقيقيّة .

اجل ، لقد قيل عن جبران انه « الفيلسوف الانساني الكامل » وقيل انه « من اعداء الانسانية » « وانه يكتب ليفسد اخلاق الناشئة » . فغالى محبوه باستعمال الالفاظ الطنانة ونسبوا اليه ما لم يدر في خلده البتة ؛ واغرق بالنقمة عليه غيرهم ، فاضاعوا كرامته وانكروا مواهبه .

ولكن ايليق بالنابغ ان يحله عشاق مبدأه مكاناً اسمى مما تؤهله اليه فضيلته ، ام هل يسلم الوجدان الحي بجحود مزايا الكتاب الحقيقية ؟ !

كلا ! لا هذا ولا ذاك ! انما الحق في ان نفهم عبقرية الرجل القائمة

بالادب الذي ظهرت من خلاله روحه ؛ وغحص العناصر التي تألف منها ذلك الادب ، والاتجاهات التي تميل نحوها تلك الروح .

ولئن ادركنا بدرسنا هـذا الكنه الذي قضى الاديب حياته مجتهداً في التعبير عنـه بمختلف الاساليب ، او اشعرنا بالعواطف التي كانت تتلجلج في احشائه ويعتني بتصويرها بابلغ ما اوتي من مواهب الفصاحة والبيان ، كان ذلك ابقى له ولتابعيـه الذين يؤلمهم ان تمسخ صورة المعلّم دهشةُ المعجب او غايةُ الخصم ، واحفظ لجوهر النبوغ الذي يعتقد ابناؤه ان اسرار قلوبهم وادمغتهم لن تذهب ادراج الرياح بل يكون لها صدى تنتقده الاجيال وتدرسه الناشئة بامعان وتقدير .

عناصر التأثير في شخصية جبران

نشأ جبران باواخر القرن المنصرم في احضان احدى العائلات المتوسطة التي كانت نفوس افرادهـا الطموحة تحملهم على هجر لبنان الى بلاد الذهب ، بصدورٍ مملوءة نشاطاً وهمة ، واذهانٍ وقّادة تنظر الى ما وراء حجب المستقبل ، فتمتنق الآراء الجـديدة ويقوّيها الاحتكاك الاجتماعي في سبيل التدرج لتقليد مظاهر الحياة في بلاد الخير التي كانوا يعودون منها مغبوطين بتوفيقهم ، معجبين بمعجزات التقدم والاختراعات الحديثة ومبادئ الحرّية . ويرجعون الى قراهم في لبنان ، ويرون انفسهم قد امتازوا عن بقيّة اهـل الضيعة ، فيأخذون بالتبشير بما جاؤا به من الجديد في العادات والاخلاق ، ويصيرون بهذا رسل التأثير في تغيير التقاليد العتيقة ، واتخاذ الجديد ديدناً معشوقاً بكل ما فيه من الزهو والروعة .

ولعمري ! اذا كانت البعثات الاجنبية التي حملت الى لبنان في القرن التاسع عشر مصابيح العلم الحديث والقت رحالها في بيروت ، دماغ الشرق ، قد فتحت عقول الذين تهافتوا على موائدها، وهيأتها للانتقال من ظلمة الجهل والغباوة الى نور المنطق العصري ودرس الاكتشافات ، واخذت تحـلّ الجمود العقلي بزيت

التفكير والنقد ؛ فان هذا رغم تبريز الفئة التي حملت مشعل النهضة المصرية وسارت به الى مصر ومن ثم انتشرت في سائر انحاء الشرق الادنى ، ان هذا التنور لم يظهر تأثيره في الاخلاق والعادات بشكل محسوس . فاليازجيون وبستانيو دائرة المعارف واكثر الادباء بذلك الوقت ظلوا يرتدون السراويل الواسعة جداً ، والزنانير المحبوكة ، والصدرية الغباني ذات الازرار المدعبلة ، والطربوش الاستانبولي النير المقشش ، وكستك الساعة الحريري الاسود الطويل المعلق في العنق والمتدلي حتى الزنار حيث الجيب المدوّر الصغير الذي طرّزته انامل المخدّرات ذوات الملاءة البيضاء ؛ ويأكلون على الطبق ؛ ويدخنون الغليون الذي يحرقونه بالقدّاحة والصوفانة ؛ اي انهم ظلوا شرقيين محافظين في اخلاقهم وعاداتهم . ذلك لانهم نشأوا وترعرعوا في المحيط اللبناني القديم وفي احضان آبائهم الشيوخ الذين لم يعرفوا ما عرفه جبران الفتى من اخوانه الذين تقدموه بالمهاجرة الى ما وراء البحار وما اكتسبه من العادات والفه من الاخلاق الغربية ، بعد ما بارح لبنان وهو في العقد الثاني من العمر ، وعجينة اخلاقه اللينة مستعدة لقبول كل ما يرتسم عليها من الطباع المكتسبة .

والى اين توجّه جبران تاركاً قصبة بشري ووادي قاديشا ؟

الى مصر ، فباريس ، فبوسطن . ولكن لا ليمكث فيها ردحاً من الزمن ينسيه لبنان وما في لبنان من العذوبة والجمال ، بل ليعود الى لبنان فيودّع القرن التاسع عشر فيه باقامته اربع سنوات كانت آخر مدة قضاها في بيروت ، اذ تلقى دروساً سطحيّة بالنسبة لمبلغ العلم الذي يحصّله الشبان في الجامعات الكبرى . وهكذا لم يتسنَّ لجبران التعمق في درس مادة ما علمية ولا اجتماعية ، بل ان جلَّ ما اكتسبه علق بفطرته واستعداده الحسن في اتجاه اخلاق عائلته ، والمحيط الذي كان مجذوباً نحوه ، والبصيص الادبي الذي اخذه من مدرسة الحكمة الوطنية حيث تلقى دروسه العربية . ولذلك من العبث ان ننتظر من جبران ان يصدر لنا آراء راهنة مبنيّة على حقائق علميّة مدقق بها . وبالعكس فان ما صقل ذوقه وشحذ شعوره بسياحته في اثينة وفلورنسة والبندقية وباريس واميركة ساعده على اصدار الخمرة حارّة من قدرة العواطف والاحساس .

ولكن ما هو حجر المسنّ الذي شُحِذَ عليه شعور جبران القوي ؟

أكان رغبته في الذهب الذي كانوا يطمعون به في اميركة بذاك الحين ام غيره من ميول الانسان للاكتشاف او الشهرة او التقوى ؟

او ماذا ننتظر من جبران — وهو في شرخ الشباب — ان يبهره في الغرب وتهوله رؤية ضده في الشرق فيهيج ذلك بفؤاده ويرغي ويزبد شراباً سكبه « بالاجنحة المتكسرة » و « عرائس المروج » و « العواصف » و « الارواح المتمردة » وابقى طعمه حتى في آخر ما انتجت قريحته ؛ في « البدائع والطرائف » و « رمل وزبد » و « والسابق » وكتاب البشارة الجبرانيَّة الذهبي ، « النبي » ، حيث يحسب الكثيرون ان فيما كتبه جبران بعهد الكهولة تطوُّراً او تغيراً ، مع ان الجوهر الجبراني واحد ، وان اختلفت الصيغ الفنيَّة التي ظهر بها ذلك الجوهر لمّاعاً جذّاباً فافتتنت به قلوب الشباب على الاطلاق ، ولم تنجُ من تأثيره عواطف الشيوخ ، وجُنّت به الفتيات . فجلس جبران على عرش الافئدة التي اهلها احتكاك الشرق بالعالم الغربي لتلقّي ادب الشاب الذي بزغ نبوغه في فجر هذا الاحتكاك ، وشعشع بسمائه حتى الضحى .

اجل ! لم يبهر جبران في العالم الغربي الّا ما يبهر كل بشري لو كان مكان جبران . فالشيخ الذي جاوز حدّ الاربعين لو جاء اليوم من ضيعةٍ تبعد مائة كيلومتر عن بيروت ، وقضى بها بضعة ايام لقضاء مصالحه الخاصة ، يعود الى بلده فيحدّث اهله وذويه قليلاً ، وقليلاً جداً ، عن البنايات الشاهقة والقناطر الفخمة والسيَّارات المتفخرة والاطعمة اللذيذة او الكهربا ؛ ويحدثهم كثيراً عن الاثواب الشفَّافة والصدور العارية والشفاه الحمراء والزنود الغضّة والشعر المقصوص المكويّ . وسائر الازياء والمظاهر التي تأسر القلب والمشاعر لدولة الجسم الناعم اللطيف .

نعم ! يسهب الشيخ الذي جاوز حدّ الاربعين في الكلام عن كل هذه البهرجات النسويّة ، حتى امام بناته العذارى ، لانه لا يتمالك عن الحديث لشدة تأثره بكل ما تقدم . قد يذكر الشيخ كل هذا مشفوعاً بعبارات النقمة على الخلاعة واهلها ، ولكنه لا يستطيع اخفاء تأثره ؛ بل يحدّث ويتكلم ويحكي

بجودة خاطر وطيب لسان .

اذا كان هذا شأن الشيخ المنتقل من قريته في الجبـل الى بيروت اليوم ، فماذا يتصوَّر المفكر من حال جبران ، وهو الشاب الجميل المراهق الذي حملته الاقدار الى باريس في اول القرن الحاضر ، لا ليقيم فيهـا بضعة ايام فحسب ، بل ليمكث هناك شهوراً طوالاً ؛ ولا لانجاز مصلحةٍ مادية ، بل لدرس الفنّ وسرّ الجمال .

لقد كان من الطبيعي المتحتم ان تختمر في قلب جبران الفتى العاطفة البشريّة الرئيسيّة اى عاطفة الحب — وايُّ حب ! — وان يكون في ذلك الحب قوّة شديدة غير مقتصرة على الانبثاق العادي من فؤاد الشاب ، بل طفرة فـائرة تدفع للنهش والالتهام .

كيف لا وقـد صادف بالمحيط الغربي جوّاً خارجياً يدفع بهذا الحب الى التمتع الحر المطلق والتلذذ الهيّن المباح .

وقد رأينا انه ترعرع معه في اسرته استعداد لتلقي مبادئ التمدين الحديث والاخلاق الغربيّة .

الحب الجبراني

نعم ! دهش جبران بجسد المرأة الجـذّاب وفرح بحريتها في الغرب وحريّة الرجال تجاهها ؛ واختمر بحبها قلبه الشرقي المخلص ، المتعطش الى اللذّة ؛ وعاد الى بيروت ليحبَّ فتاة جعلها بعدئذٍ بطلة « الاجنحة المتكسرة »، وسرد بهذه الرواية البليغة كل ما توقّع له مع تلك الفتاة التي دعاها سلمى كرامه .

في « الاجنحة المتكسرة » بسط جبران كل مـا اضمره وجدلته من غايات الحب العميق . ولكن جبران كان خاسراً في صفقتـه ، لان سلمى كرامه تزوجت زواجاً شرعياً بغيره . فولّد عنده هذا النقص في حظه تـامياً نحو الفن ليبثّ العالم مكنونات قلبه الجريح ، ولينفث من بركان عاطفته المتجسّمة قذائف النقمة على العقبات الكؤود التي اعترضته في سبيل حبه . ودعائم هذه العقبات

جدران العادات والاخلاق، وحصن الدين والشريعة . ففي سبيل الحب، ولتهديم الاخلاق والعادات الشرقية ، ، ونسف اركان الدين ، وتحطيم قيود الشريعة ، وقف جبران فنه الكتابي .

نعم ان حب المرأة هو الذي اوحى الى جبران آيات فنه ، والهمه اسلوبه البديع .

ولكن ما هو الحب الجبراني ؟ وما هو ذلك الفنّ اللذان كانا لعظمة جبران السدى واللحمة ؟ !!

الحب رافق الانسانية منذ البدء ، وسيبقى محور آدابها حتى النهاية . ولكن انواع الحب تختلف بحسب الادوار التاريخية ، ودرجاته تتباين بحسب الشخصيات الادبية .

فمنهم من تغنى بمزامير الحب المجرَّد عن كل دنس ؛ وقد دعوه بالافلاطوني لانه يقتصر على الافتكار والتأمل بشخص الحبيب والمحافظة على كيانه المنوي بل والجهاد في سبيل طهره وقداسته واسعاده ؛ وعمدة هذا الحب التضحية التامة : وهو موجود في نظريات بعض الفلاسفة ، لانه المثل الأعلى .

ومنهم من اكتفى بوصف التشوّق لمشاركة الحبيب بالفكر والعاطفة المتبادلة والعمل في سبيل الحياة . . واساس هذا الحب العدل وغايته غريزة احياء الجنس .

ومنهم من وسّع فكرة الحب الجسدي القاتل الذي يودّ صاحبه لو استعبد كلّ ما بالعالم لاشباع شهوته الشخصية من حبيبه . ومصدر هـذا الحب الانانية الحرّة المجرّدة ، وغايته اللذة المطلقة .

فالى ايّ هذه الانواع اتجهت عواطف جبران التي نمت في باريس ، بلدة الجمال وكعبة المرأة العصرية ؟

واي حبّ نضج في ريعان صباه واثمر للغته العربية فاكهة قيّمة ، اذ شرح بمؤلفاته ما يسميه «ذاته الوضعيّة» بصدق في القول ، وامانة بالوصف والتصوير . فكان امام المجدّدين بهذا الاسلوب في الادب العربي ، واعطى المثل الاول للشاعر الذي يعمل على احياء اللغة حسب رأيه السديد بمقاله « مستقبل اللغة

العربية». فلم يكن مرآة مدهونة تعكس ما سطع عليها من اشعة المتقدمين في خطة تقليدية، بل كان كأساً نقية يتلألأ ما فيها من ماء الحياة المعنوية.

ولنسمع جبران يحلّل نفسيّته الخاصة ويعبّر عن رأيه في الحب والحياة:

قال في توطئة «الاجنحة المتكسرة»: «سلمى كرامه هي حواء هذا القلب المملوء بالاسرار والعجائب، وهي التي افهمته كنه هذا الوجود، واوقفته كالمرآة امام هذه الاشباح... حوّاء الاولى اخرجت آدم من الفردوس بارادتها وانقياده، اما سلمى كرامه فادخلتني الى جنة الحب والطهر بحلاوتها واستعدادي.»[1]

سلمى كرامه، حبيبة جبران، ليست فكرة فلسفية عن الجمال بوجه الاجمال، او مثلاً لكل فضيلة واهلاً لكل تضحية؛ ولا بدراً في تكوين وجهها او خيزرانة في لين قوامها، او شيئاً مما تنزّل به الشعراء الذين شاقهم الاقتران بامرأة احبوها وحالت الاقدار دون وصالها. بل هي «حوّاء» اي امرأة عارية الجسد لديها تفاحة للاكل. وقد صوّرتها ريشة جبران بسائر الرسوم التي مثّلها بها، فكانت تحفة من تحف الرياضة البدنية في معارضه الذائعة الصيت في بلاد «التنس»؛ وبطاقة تخجل الفتاة الشرقية من النظر اليها.

اجل! حبيبة القلب الجبراني امرأة عارية معتوقة من كل ستر حاكته يد التاريخ المدني، او خيط غزلته الاخلاق والقوانين لتلفّ به عرض المرأة ضنّاً بالنسل والارث والامن العام.

وهذه المرأة العارية هل هي حواء العقل الباحث عن كيانها، المدقّق في حقوقها والعلاقات الحيويّة معها؟؟

كلا! بل هي «حوّاء هذا القلب» اي حوّاء الميل والشهوة العمياء المبهمة المترائية «كالاسرار والعجائب» لشدة اطباقها وبعد غورها في اعماق جبران، او كما كان يقول «في قدس اقداس النفس».

ولهذه المرأة سرّ عجيب. فهي توحي الى القلب الهاماً «يفهم كنه هذا الوجود». فكل ما ولّدته المرأة في القلب من العواطف هو عقيدة الحقّ بالكائنات، بل هو المعرفة التامة.

---

[1] الاجنحة المتكسرة – نيويورك ١٩١٢ – ص: ٢-٣

اذن فلسفة جبران عاطفية قلبية نسوية . وكل ما روي بغير مجهر القلب ، وليس من خلال المرأة العارية ، فهو « اشباح » لا قيمة للتدقيق في شؤونها : فالمقاييس والاوزان والعلوم الرياضية والتجريبية والمنطق الاجتماعي والحقائق العقلية والسياسة وكل ما بالكون مخيف راعب « كالاشباح » لا يأبه جبران للتقرب صوبها ، بل يهزأ بها ساخراً ، ولطالما دعاها « بالالغاز والاحاجي ».

ولماذا كل هذا التحكم والاستسلام لسلطان العواطف ؟ ومن اين اتت هذه الحكمة بل هذه النبوءة الجبرانية ؟

من تأثير حواء القلب الجبراني ! وايّ تأثير ؟ هل كان ذلك تأثير المنظار الخارجي واللمحات الشعرية التي تبهر ابصار المحبين وتخلب بصائرهم ؟ ام كان وقع صوت الحبيب الذي تدوي في اذن العاشق رنّته السحرية ؟ ام كان رائحة انس يسكر بها الصب ؟ ام نعومة لمس ترتعش لها الاعصاب ؟

كلا ! لم يكن شيء من هذه الحواس البتّة !

بل هي « حلاوة » اي لذة فائقة بطيب طعمها .

اجل ! جبران ينادي بحلاوة حواء العارية ولذة طعمها . وما هذا سوى الشهوة الجسدية المتجسّمة عند من اوجدت في احشائه تربيته بين ذوات الصدور والزنود العارية استعداداً يجاهر به على رؤوس الاشهاد ، ويصرّح بان الجنّة قائمة بهذا الحب وهذه التفاحة الشهية .

« الجنة ! » : كلمة صغيرة لشيء كبير ! !

« الجنة ! » : هي اللفظة التي اعتاد البشر ان يعبّروا بها عن منتهى الغبطة الابديّة والسعادة السرمدية ؛ هذه « الجنة » في عقيدة جبران ، قد ادخلته اليها « حواء قلبه بحلاوتها واستعداده » اي سلمى العارية بلذّتها هي وشهوته هو .

وهنا لا ينفصل جبران عن نظريّة الاديان السماوية والاخلاق الاجتماعية انفصالاً فرعياً فحسب ؛ بل هو يعكس آياتها عكساً اساسياً واضحاً كالشمس في رائعة النهار .

التعاليم الدينية تعتبر المرأة خاطئة ، وتقول ان الرجل الاول طُرد من الفردوس الطاهر ، ونفي الى هذا العالم عندما اكل من تفاحة حوّاء . واماّ جبران

فيرى ان الجنة – اي الهناء الابـدي – ليس في الحب المقدّس فقط ! بل في الحب المجرم ، وفي العشق السرّي ، في الفحش ، اذا صدرت ارادة القلب الجسدي بذلك .

جبران هو امام العشّاق المجرمين باسم الميول القلبية والحب . فانه عنـدما حكم القضاء باعطاء سلمى كرامه عهد الزوجية الشرعية الى منصور بك غالب ، لم يقتنع بحبها العذري والمحافظة على العفاف والحشمة والطهارة ، بل تعاهد معها على ان يحبها حتى الموت وان يتلاقيا في محل منفرد . وها هوذا يصف موقفـه تجاهها في الهيكل المجهول القائم «بين تلك البساتين والتلول التي تصل اطراف بيروت باذيال لبنان» في المعبد الصغير الذي حوّلاه الى بيت ملاقاة . «ولم يدرِ باجتماعاتنا السرّية احد سوى الله واسراب العصافير المتطايرة بين تلك البساتين ، فسلمى كانت تجيء بمركبتها الى المكان المدعو بحديقة الباشا ثم تسير الهوينـا على الممرّات المنفردة حتى تبلغ المعبد الصغير فتدخله مستندةً على مظلتها وعلى وجهها لوائح الامن والطمأنينة ، فتجدني منتظرًا مشتاقاً بكل ما في الشوق من الجوع والعطش ... »

«ولم نخف قط عين الرقيب ، ولا شعرنا بوخز الضمير . لان النفس اذا تطهرت بالنار واغتسلت بالدموع تترفع عما يدعوه الناس عيباً وعارًا وتتحرّر من عبوديّة الشرائع والنواميس التي سنتها التقاليـد لعواطف القلب البشري ، وتقف برأس مرفوع امام عروش الالهية . »[1]

(لها بقية)

١) الاجنحة المتكسرة ، ص ١١٢–١١٤

الزواج

تبعاً للرسالة البابوية «Casti connubii»

بحث اخلاقي لاهوتي

للاب شرل ابيلا اليسوعي

٢

الزواج المسيحي او سر الزواج

١

١ً خلاصة ابحاثنا السابقة

ليست وضعية الزواج بشرية وانما هي الهية . هو من الله المشترع وضعاً ، وبهذا يشهد التقليد المسيحيّ ، فضلاً عن الاسفار المنزلة . وهو ايضاً من الله الخالق طبعاً ، وهي النتيجة المنطقية التي تُستخلص واضحةً جليَّة من الاغراض التي عيَّنتها الطبيعة ومبدعها ، جلّت حكمته وقدرته ، لاتحاد الرجل والمرأة .

ومن ثمّ فان الزواج عقد حقيقي ، لكن هذا العقد هو فريد في بابه . اجل انه لا ينفي تراضي المتعاقدَين عن تحرّ واختيار ، بل يقتضيه حتماً ولا يتمّ ولا يقوم بتاتاً بدونه . غير ان احكام هذا العقد هي بمعزل عن مشيئة البشر ، حتى عن مشيئة المتعاقدَين عينهما . وانما واضع هذه الاحكام ومرتبها هو الله ، عزّ وجلّ ، وهو الذي يقيّد بها كلّ من انخرط في سلك الحياة الزوجيَّة ، ولمجرَّد ما ينخرط فيها .

تلك هي خلاصة التعليم الكاثوليكي الذي بسطناه سابقاً .

٢ً قداسة الزواج الحقيقي اجمالا

ومن ثمّ تنجلي منزلة الزواج الرفيعة وقداسته ، حتى إلمَ يُعتقد بين مسيحيّين.
قال بيوس الحادي عشر:

« ان نور العقل وحده ، ولا سيا اذا ما استقصينا بحث آثار التاريخ القديمة ، واستجوبنا شعور الشعوب الدائم ، وتحرّينا شرائع الامم وعاداتها ، يُثبت لنا اثباتاً كافياً ، أن في الزواج الطبيعي ذاته شيئاً مقدّساً دينياً ، « لا عارضاً بل فطريّاً ، ولا مأخوذاً عن البشر بل مندمجاً في الطبيعة » لان « الله هو مبدعه ولانه كان ، حتى منذ الابتداء ، مثل صورة لتجسد كلمة الله.»[1]
فان سمة القداسة التي في الزواج والتي ترتبط ارتباطاً شديداً بالدين ونظام الاشياء المقدّسة ، تنجم عن مصدره ذاك الالهي الذي ذكرناه سابقاً ، ثم عن غايته التي هي ولادة البنين وتربيتهم لله ، وكذلك ارتباط الزوجين به تعالى بالمحبّة المسيحية والعون المتبادل ، واخيراً عن وظيفة الزواج ذاته الطبيعيّة ، التي رتّبها عقل الله المبدع ، بعناية فائقة ، لتكون كآلة لنقل الحياة ، بها يُصبح الوالدون كخدّام يخدمون قدرة الله الضابطة الكل.»[2]

٣ً عظمة الزواج المسيحي من حيث هو احد الاسرار السبعة

فاذا كان هذا شأن الزواج اجمالًا ، من حيث كيانه الطبيعي المحض ، فكيف به اذا ما نظرنا اليه من وجهته الفائقة الطبيعة ، على ما يُعتقد بين المسيحيين ؟ فمن الايمان ان الزواج في هذه الحالة هو احد الاسرار السبعة ، التي رسمها ابن الله لتقديس الانفس . ومن ثم لا بد ان تُضاف الى ما سبق « علّة اخرى لعظمته وهي مقتبسة من السرّ ، تجعل زواج المسيحيين شريفاً للغاية وترفعه الى درجة من السموّ عالية جداً ، حتى انه تجلّى للرسول « سرّاً عظيماً مكرّماً في كلّ شيء..»[3]

---

١) رسالة البابا لاون الثالث عشر *Arcanum* ١٠ شباط ١٨٨٠

٢) الرسالة *Casti connubii* ص ٣١

٣) المحل ذاته – طالع افسس ٥ : ٣٢ ؛ وعبر ١٣ : ٤

وبهذه الحقيقة عينها تستهلّ الرسالة البابوية حيث جاء « ان ما للزواج الطاهر من سموّ الشأن يمكن ، ايها الاخوة المحترمون ، ان يُدرَك خاصة من كون السيد المسيح ابن الآب الازلي ما اكتفى بعد اتخاذه جسد الانسان الساقط بان يدمج الزواج — مصدر العائلة فالجماعة البشرية واساسها — في تلك الخطة المملوءة حبًّا التي بها انهض جنسنا اجمع من كبوته ، بل اعاد اليه كماله الاصلي كما رسمه الله منذ البدء ، ثم رفعه الى مقام سر حقيقي وعظيم من اسرار الشريعة الجديدة . ولذلك وكّل الى عروسه الكنيسة المقدسة تنظيم هذا السر والاهتمام به من كل وجه . »[1]

وعليه فالزواج المسيحي ليس عقدًا طبيعيا فحسب ، بل هو سر حقيقي . وهو احد الاسرار السبعة التي انشأها المسيح الاله . هذا هو معتقد الكنيسة المقدسة بل العالم المسيحي باجمعه في كل زمان ومكان ، اللهمَّ اذا ما استثنينا اشياع البروتستنت .

٤ً ماهية السر اجمالًا

وقبل ان نستجوب الآثار المسيحية التي تدعم تعليم الكنيسة المذكور ، لا بدّ من كلمة تمهيدية اجمالية في ماهية السر ، على ما تُحقَّق في كل من الاسرار السبعة .

فنقول ، نقلًا عن نصوص اللاهوتيين ونصّ كتيّب « التعليم المسيحي » ، ان السرّ هو علامة حسّية فعّالة للنعمة ، رسمها السيد المسيح لتقديسنا .

فالعلامة هي الشيء الذي يدلّ على غيره فيؤدّي الى معرفته . وتكون حسّيَة اذا ما وقعت تحت الحواس . مثال ذلك الغسل في المعمودية وهو مما تبصره العين ، وصورة الحلّة السرّية وهي مما تسمعه الاذن .

وليست الاسرار علامات نظرية صرفة بل هي فعّالة ايضاً . فانها ، علاوة على كونها تمثل النعمة ، تُحدثها او تزيدها[2] فيمن يقبلها بالاستعدادات اللازمة .

١) الرسالة *Casti connubii* ص ١ — ٢

٢) ان « سرَّي الاموات » ، اي المعمودية والتوبة ، يُعطيان حياة النعمة للنفس التي

فهي اذاً علامات تفعل في متقبلها ما تدل عليه . وبعبارة اخرى هي علل آليّة يستخدمها الله ليخوّلنا النعمة . وعلى هذا النحو تكون وُرَيدة جوقة الشرف علامة نظرية ، لانها تدلّ على ان حاملها هو ضابط في سلك الجوقة المذكورة. واما الحفلة الرسمية التي بها يُعلقها رئيس الجمهورية او ممثله على صدر حاملها ، فهي علامة فعّالة ، اذ بها يُرقيه فعلاً الى درجة الضابط في جوقة الشرف.

امّا النعمة السرية ، التي هي مفعول السرّ ، فانما هي ، في حدّ ذاتها ، النعمة المبرّرة بعينها ، تختلف عنها معنىً لا حقيقة ، على ما يأتيك شرحه حالاً.

فالنعمة المبرّرة هي موهبة تفوق كلّ مقتضيات ومقدرات الطبيعة المخلوقة ، ايّة كانت ومهما علا شأنها ، فتستقرّ في النفس وتتبلّك فيها ، فتجعلنا قدّيسين ابراراً ابناء لله بالتبني واخوة للسيد المسيح ، وبالتالي توّهلنا للتمتع بالسعادة الابدية التي هي ايضاً فائقة الطبيعة.

اجل ان الابرار ليسوا ابناء الله تعالى الّا بالتبني . فللّه الآب ، من حيث الطبيعة ، ابن وحيد لا يتعدّد ، يلده ولا يمكنه الّا ان يلده منذ الازل ، فيعطيه جوهره بالذات ، بدون ما تجزّء ولا انقسام ، فهما أُقنومان متميّزان الواحد عن الآخر ، وان قائمين بذات الهيّة واحدة . امّا نحن البشر فانما يتبنّانا الله بالنعمة تعطّفاً وتحنّناً ، لا وجوباً ولا ولادةً طبيعية . على انه شتّان ما بين الثريّا والثرى ، وشتّان ما بين تبنّي البشر للبشر وتبنّي الله لهم . فان الموسِر المقتدر انما يولي الفقير الحقير ، اذ يتبنّاه ، اسماً وعزّاً وسعةً وميراثاً . ولكن ليس له ان يزيده في صميم كيانه شيئاً . فقد يكون المتبني ابيض اللون صحيح البنية ذكيّاً متوقد الذهن ولا يزال الولد الذي يتبنّاه ، على ما قد يكون قد فُطر عليه ، اسود مسلولاً ابله . امّا النعمة المبرّرة التي بها يتبنّانا الله فهي شيء خفيّ لا محالة ، إلّا انه ، ولا محالة ايضاً ، حقيقيّ واقعيّ

تكون قد فقدتها بالخطيئة . وامّا الاسرار الخمسة الباقية فانها تسمى « اسرار الاحياء » لان من يقتبلها يجب عليه ان يكون حيّاً بالحياة الروحية بنعمة الله ، فينال بواسطة هذه الاسرار زيادة على النعمة التي كان مزداناً بها من قبل (طالع التعليم المسيحي الذي نُشر بامر البابا بيوس العاشر ، ترجمة المطبعة الكاثوليكية ، ص ٨٥-٩١)

راهن.» يندمج في كياننا ، فيُجمّله ويُكسبه كمالًا فائق الطبيعة . كيف لا وقد وصفها القديس بطرس الرسول ، مُلهَماً من الروح القدس ، بقوله اننا بها نصير «شركاء في الطبيعة الالهية»[1] ولاجل الحصول عليها يقول الرب يسوع انه لا بدّ للانسان من ان يولد ثانيةً من الماء والروح القدس[2]. وعن الذين حصلوا عليها فعلًا يقول القديس يوحنا الحبيب في انجيله : انهم «ابناء الله» وانهم «لا من دمٍ ولا من مشيئة لحمٍ ولا من مشيئة رجل لكن من الله وُلدوا.»[3]

اما الفرق المعنويّ ، الذي اشرنا اليه آنفاً ، بين النعمة المبرّرة والنعمة السرّية ، فقوامه بان النعمة المبرّرة التي يولينا اياها السرّ ، ينطوي تحتها حق لنيل النعم الفعلية ، اي المساعدات الربّانيّة الخصوصية ، الضرورية لتحقيق الاغراض الخاصّة ، التي من اجلها انشأ المخلّص ، جلّت حكمته ، كلًّا من الاسرار السبعة. فمن يقتبل ، بالاستعدادات الكافية ، سرّ الدرجة الكهنوتية مثلًا ، ينل النعمة المبرّرة مشفوعةً بحقّ لنيل الاسعافات التي تؤهله للقيام بوظيفة الكهنوت ، على ما تقتضيها كرامتها ومهمّاتها السامية[4]

٥ً النعمة السرية للزواج المسيحي

واليك تطبيق هذا المبدأ العامّ على سرّ الزواج المسيحي ، في الرسالة البابوية . قال صاحب القداسة :

«ان خير السرّ هذا يحتوي ، ما عدا ثبات الزواج غير المنحل ، منافع اسمى بكثير ، تدلّ عليها اوضح دلالة لفظة السرّ بعينها . فانها ليست لدى المسيحيين اسماً لغوًا فارغاً ، لان المسيح الرب «منشئ الاسرار ومُكمّلها»[5] ، برفعه زواج مؤمنيه الى مقام سرّ حقيقي تامّ المعنى ، من اسرار العهد الجديد ،

---

١) ٢ بطرس ١ : ٤

٢) يوحنا ٣ : ٣-٨

٣) يوحنا ١ : ١٢-١٣

٤) راجع التعليم المسيحي المذكور آنفاً ، ص ٨٦

٥) المجمع التريدنتيني : جلسة ٢٤

قد جعله بالحقيقة علامةً وينبوعاً لتلك النعمة الباطنية الخاصّة ، التي بها « يكمل تلك المحبة الطبيعية المخصصة بالزواج ، ويوطّد وحدته غير القابلة الانحلال ويقدّس الزوجين.»[1]

وايضاً : « ان هذا السرّ في الذين لا يعترضون له بمانع ، كما يُقال ، لا يزيد مصدر الحياة الفائقة الطبيعة اي النعمة المبرّرة فقط ، بل يُضيف اليها مواهب خصوصية اعني اميالاً للنفس صالحة ، هي بزار النعمة ، فيزيد قوى الطبيعة ويكمّلها ، حتى يستطيع الزوجان ، لا أن يدركا بالعقل فقط ، بل ايضاً ان يذوقا باطناً ويحفظا بثبات ويبتغيا بارادة فعّالة ويُتمّا فعلاً كل ما يختصّ بالحالة الزوجية واغراضها وواجباتها ، واخيراً يخوّلهما حقّاً بعضد من النعمة الالهية ، يحصلان عليه كلما احتاجا اليه لتتميم واجبات هذه الحالة.

« على انه لما كانت شريعة العناية الالهية في الترتيب الفائق الطبيعة هي ان لا يجني الناس الثمر التام من الاسرار التي يقبلونها بعد سنّ التمييز ان لم يلبّوا نداء النعمة ، فان نعمة الزواج يبقى معظمها وزنةً عقيمة مخبّئة في الحقل، ما لم يستعمل الزوجان قواهما الفائقة الطبيعة ويحرثا زرع النعمة الذي اقتبلاه ويُنمياه . امّا اذا عملا ما بوسعهما فانقادا للنعمة ، فانهما يستطيعان ان يحملا اعباء حالتهما ويُتمّا واجباتهما فيتقوّيان بهذا السرّ العظيم وبه يتقدّسان وكأنهما يتكرّسان.

« فانه ، على ما يُعلّم القديس اغوسطينوس ، كما ان الانسان بالمعمودية وبسرّ الكهنوت يُنتدَب ويُسعَف إمّا للسير سيرة مسيحية وإما للقيام بالوظيفة الكهنوتية ، ولا يُحرَم ابداً عضدهما السرّي ، كذلك على ما يقارب المنوال عينه ، وان لم يكن بالوسم السرّي ، لا يمكن ابداً ان يُحرم المؤمنون ، بعد اتحادهم برباط الزيجة ، مساعدته السرّية ووثاقه...»[2]

---

١) المحل ذاته.

٢) الرسالة *Casti connubii* ، ص ١٥-١٧

٦ً ضرورة نعمة الزواج السرية

والحقّ يُقال ان واجبات الحالة الزوجية ، التي اومأ اليها الحبر الاعظم فيما اوردناه آنفاً من رسالته ، ليست مما يستهان به ، بل لا مبالغة في القول انها حملٌ لا يقوى الزوجان على القيام به بدون عون خاص من الجودة الالهية . ولنا على ذلك دليل واضح في ان القديس بولس الرسول قد جعل نصب اعين الزوجين المسيحيين اتحاد المسيح بالكنيسة[1] ، كيما يكون لهما مثالاً ، يعكفان على الاقتداء به طيلة حياتهما . وناهيك بما يقتضيه الاقتداء هذا من حبٍ ثابت حتى على البليّة ، ونشاط لا يوقفه ملل في سبيل التفاني ، وسخاء وشهامة في تضحية الذات بدون ما انقطاع .

تُرى من اين للحب الطبيعي الصرف ، مهما كان ارادياً روحياً ، ان يولي ائتلافَ الزوجين واتحادَهما مثلَ المتانة الموصوفة ، ولا سيما اذا كرّت عليه الاعوام مصحوبةً بصروف الدهر ، ذاك محطِّم الآمال ، وبما لا بُدّ ان تولّده الايام من عاهات واتعاب وشدائد واسباب للخصومة والبلبال قد تُعدّ بالمئات والالوف ؟

قال الاب مونسبره : « الحبّ الطبيعي ينخدع بمحاسن فتّانة ، لكنها سريعة العطب زائلة ، لا تُبقي عليها ابداً يدُ الزمان الجافية . فان التلاف هذا ، الذي يفتك غير راحم بالجمال البشري ، لا ينثني يوماً واحداً عن عمله ، فيمحو الوان الشباب الوهّاجة ويُسمِج المباسم ويُجدّد الجباه ويصبّ صقيعه على الشعر ويحني الاجسام ويُفني ، واحداً تلو الآخر ، المحاسن التي كانت تجتذب القلب بما تحدّث به البصر ، فلا يبقى اخيراً امام الناظر سوى صنم مشوّه ، يُثير في القلب الهائم حسرات مؤلمة على انشغاف ، انما اندفع اليه عن جنون فبلغ به حدّ العبادة – الحبّ الطبيعي ، مهما رُكّز على اسس الوقار والاعزاز ، لا يثبت تجاه ما نُبغَتُ به من نقائص وعيوب ورذائل تنفضح امام اعيننا ، ولم تكن من قبل لتخطر لنا ببال . فنشعر فينا بالطمأنينة قد تزعزعت

---

(١) افسس ٥ : ٢٥-٢٧

اركانها ، وبالسلام تكتنفه المخاوف ، مما يُفقد قلبنا التعيس نشاطه ، فيحدو به الى العدول عن حبٍ كان يعتقده راسخاً فيه ايما رسوخ - الحبّ الطبيعي ، في انسان ساقط قلّما يملك اهواءه ، على الانقطاع الى موضوع واحد . وسرعان ما ، لسوء الطالع ، يُحوّله التقلّب وجموح الهوى نحو موضوع آخر ، ينسى لديه واجبه وعهوده . تلك زلّة يؤسف لها ، قد كدّرت صفاء الزواج في كل الازمنة . على ان المسيح قدّسه ، ومنذئذٍ نرى النعمة تُكمّل الحبّ . فتفقهه اذ تعلّمه ان ليس من شيء كامل في هذه الدنيا ، وان جمال الله الذي لا حدّ له هو المثال الفرد الذي يستطيع وحده ان يُرضي قلباً طمع بالكمال ، وانّ المرء ، ان لم يحصل على كل ما قد يرغب في التمتع بحبه ، فعليه ان يكتفي بحبّ ما لديه . والنعمة ايضاً تُصفّي نظر الطبيعة فتجعل الآفات مطاقة والاسقام مثيرة للحنان والشيخوخة والشيب خليقين بالوداد - النعمة تولي الحبّ صبراً فتمنطقه بأساً تجاه صدمات النقائص التي قد يسبق للمحبّ ان يعرفها ، كما تجاه التي يُفجعه اكتشافها ، وقد فاته من قبل ان يبلغ الى الوقوف عليها - النعمة تُكسب الحب انصافاً ورحمة ، فتسهّل لنا اليقين اننا ، ان كان لنا من سوانا ما يؤلمنا ، فنا نحن ايضاً لغيرنا ما يؤلمه ، وان المعيشة المشتركة بين اثنين تستوجب ، اكثر من اي معيشة غيرها ، تطبيق هذا المبدأ الانجيلي : « تعاونوا في حمل اثقالكم » . فتوحي النعمة اليهما ، بدلاً من الملامة ، اسباباً للمعذرة ، فتصيّر العذل شورى صالحة ونصحاً سديداً وتنشيطاً عذباً واصلاحاً مستحباً ، وتميل بالقلوب التي تلينها الى ابدال ستر العفو سهلاً . واخيراً ان النعمة تولي الحب امانةً للواجب ، فتُريه الثباتَ يتجلى له بنور ساطع ، لا تقوى على تظليله غيومُ المخيّلة المارحة والاهواء الجامحة والغرور والكذب ، فيجد في هذا الثبات شرفاً وافراحاً يحمد عليها الله ، الذي يظلّ هو اميناً ايّما امانة ، حتى للذين يخونونه . »[1]

١) مونسبره ، ص ٣٩-٤٢

٧ً يفترى على الكنيسة من بغضها باحتقار الزواج

قلنا : ان الزواج المسيحي سرّ مقدّس وهذا هو تعليم الكنيسة . ومما يجدر بالقارئ اللبيب ان ينظر اليه بعين الاعتبار ، ان هذا التعليم السديد ، حتى قبل ان تُبسط البراهين المؤيدة له ولمجرّد ما يُصرَّح به ، خليق بان يسد افواه الذين يتحاملون على الكنيسة الكاثوليكية ، اذ ينسبون اليها الحطّ من كرامة الحالة الزوجية . فيقولون انها تحتقرها وتحاول ان تكرّهها الى المؤمنين، وقصارى القول ان الكثلكة هي اشدّ الديانات بغضاً وعداوةً للفكرة العائلية . والسبب في ذلك ، على زعمهم ، ان الكنيسة تفضِل البتولية على الزواج وتفرض العزوبة على رهبانها وكهنتها .

ولا نكير البتة ان الكنيسة تجاهر وتعلّم ان الحالة البتولية هي في نظر الله ، ففي الحقيقة إذن ، اكمل من سلك الزواج . جاء في المجمع التريدنتيني ما تعريبه :

« ان قال احد ان الحالة الزوجية يجب ان تُفضَّل على حالة التبتّل او العزوبة وانه ليس احسن واسعد البقاء في التبتّل او العزوبة من التقيد بالزواج ، فليكن محروماً . »[1]

ولم يكن هذا التعليم مستحدثاً في زمن المجمع التريدنتيني ، فانه قديم في كنيسة الله يرتقي عهده الى اوائلها[2] بل الى الرسل[3] والى السيد المسيح بذاته[4] .

---

١) الجلسة الـ٢٤ ، القانون العاشر – طالع ايضاً القانون التاسع في الجلسة ذاتها ورسالتي البابا بيوس التاسع « Qui pluribus » ، ٩ ت ٢ ، ١٨٤٦ و « Multiplices inter » ، ١٠ حزيران ١٨٥١

٢) طالع رسالة القديس سيريشيوس البابا († ٣٩٨) في تبتّل الاكليريكيين ، والقانون الثالث للمجمع اللاتراني الاول في سنة ١١٢٣ – تجدهما في مجموعة التحديدات لدترنكر ، عدد ٨٩ و ٣٦٠

٣) طالع ١ كور ٧ : ٢٥–٤٠

٤) طالع متى ١٩ : ١١–١٢

غير ان هذا كله لا ينتج عنه ادنى تأييد للتهمة الباطلة التي يوجّهها اعداء الكثلكة اليها . فان تفضيل حالة على اخرى لا يترتّب عليه البتّة احتقار المفضَّل عليها ورذلها ، بل قد تكون هذه في نظر المفضِّل جديرةً بالاعزاز والاجلال . وهذا هو الواقع فيما يتعلّق بالحالة البتولية والزوجية . فانّ الكنيسة تؤثر الاولى على الثانية ، الّا انها تُعلي شأن هذه وتقدّسها .

وما افصحَ الوقائعَ عينها ، حيث تجيء كل يوم تؤيد هذا التعليم الحق . فمن جهة كل انسان لم تُعمِ بصيرته الاوهام السابقة لا يسعه الّا ان يُقرّ بل يرى بامّ العين ، ان الفكرة العائلية ، بما لها من الرونق وما تقتضيه من الوحدة والائتلاف والثبات وما منها للمجتمع البشري من الصلاح والفلاح ، لا تزال معزّزةً محفوفةً بالجلالة والوقار ، على قدر ما تسود في محيطها المبادئ الدينية وتُراعى القواعد المسيحية الكاثوليكية . وبالعكس تتداعى اركان العائلة حيث يتناسى البشر الاصول الدينية . فليس الدين الكاثوليكي اذن عدوًّا للعائلة ولا الزواج . ومن جهة اخرى هل من امرىء يستطيع انكار الخدمات الجمّة الخطيرة التي اداها للبشرية اولئك الذين ، لا عن انانيّة ، ولكن عن حب خالص لله ولبني جلدتهم ، قد انقطعوا الى العذوبة واعتنقوا التبتّل ، فمكّنهم اعتزالهم اباطيل الدنيا من ان يتفانوا بلا حساب في سبيل العلم والحضارة والدين وتهذيب الناشئة واسعاف ذوي العاهات والبائسين ؟ افلا تكون حكمة من الكنيسة ان تفضّل على الزواج حالة الذين تبتّلوا من اجل مثل هذه الغايات السامية ، وان كانت لا تقبح بل تعظّم القران المقدّس .

وعلى كل حال نعود ونقول : ان الحالة الزوجية للمسيحيين انما تنشأ ، بمقتضى التعليم الكاثوليكي ، عن سرّ عظيم مقدّس ، يمثّل اتحاد المسيح الرب بالكنيسة . فحسبُ الذين يعزون الى الكاثوليك الحطّ من كرامة الزواج ، بهذا التعليم وحده ، ردًّا قاطعاً مفحماً[1]

1) طالع كوله ، ص ١٠٥-١٠٧ – ومونسبره ص ٢١٢-٢٥٨ .

(للبحث صلة)

كهرباء القاديشا

بقلم انطوان باز
المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

٢ً المراكز الكهربائية

مركز نهر ابي علي

ما تمّ مركز بشراي حتى تأسست شركة « السيمنتو اللبناني » في شكا ، وهي تصرف سنوياً من الكهرباء خمسة او ستة ملايين كيلوات ـ ساعة . وكان امتياز جرّ مياه نهر ابي علي وتوزيعه على قضائي الكورة والزاوية في قبضة مشايخ آل اسطفان ، فحاول البعض من الشركاء ابتياع امتيازهم هذا وبناء مركز كهربائي يقدّم الى شركة السيمنتو ما تحتاج اليه من القوة ، وهو موردٌ لا يستهان به .

لفت ذلك الموقف انظار مديري « القاديشا » ، خصوصاً وان مشروع نهر ابي علي يأتي من القوة باربعة اضعافٍ ما يعطيه مركز بشراي ؛ فلو تركته الشركة لغيرها لضعفت قوتها واستسلمت للمزاحمة والفشل ... لذلك الّفت لجنة فنية لدرس المشروع من الوجهتين العملية والاقتصادية ، وعلى اثر تقرير تلك اللجنة ابتاعت من آل اسطفان امتياز النهر ، فاصبح رأسمالها ٢٧٥٠٠٠ ليرة لبنانية ذهباً . ثم اوفدت الى فرنسة من وقّع مع شركة السيمنتو اللبناني ، معاهدة لتقديم المجرى الكهربائي على مدة سبع سنوات ونصف . وعليه اوصت على المعدّات اللازمة لبناء المركز الجديد ، مركز نهر ابي علي .

تجمع مياه النهر بواسطة سدّ يُرى في الرسم ٧ ، سديد البناء ، يبلغ طوله ٥٠ متراً ويحوي قلبه ٣٥٠٠ متر مكعب من البتون. فتمر في حاووز تترك فيه ما تحمله من الرمال ، ثم تسيرُ في قناة مقفلة من البتون المسلّح طولها ٧٥٠٠ متر ، وفوهتها كافية لتصريف ٢٣٠٠ ليتر من الماء في الثانية الواحدة بانحدار لا يزيد على ٢,٧٥ في الالف . والقناة هذه مستديرة الشكل يعدل قطرها الداخلي بـ ١٣٥ سنتيمتراً .

ويظهر في الرسم ٨ قسمٌ من تلك القناة عند عملها يُرى فيه الجهاز الحديدي. امّا الرسم ٩ فيمثل قسماً اخر من تلك القناة بعد عملها وهي تنساب كالحية في لحف الجبل . وعلى طول القناة اعمال خطيرة من مثل جدران ساندة ، وغرف للتعزيل ، ومصارف للمياه اذا فاضت . ومن شاهد تلك الاعمال في ذلك الجبل الوعر ادرك ما عانته الشركة للوصول الى المطلوب . ولا بدّ لنا من ذكر السادة « دانتي » الايطاليين ، الذين التزموا اعمال تلك القناة فقاموا بهمتهم بهمة ونشاط . وانا لنشكرهم لتقديم الرسمين المذكورين سابقاً وغيرهما من رسوم لم نتمكن من نشرها . اما السادة دانتي فيشتغلون اليوم بصناعة الحجر وخصوصاً الرخام ، ولهم في بيروت ، بشراكة صديقنا الشيخ سليم الخوري ، مصنع لذلك جديرٌ بالذكر .

تنتهي القناة الى حاووز منظم للقوة ، سعته ٢٠٠٠٠ متر مكعب[1] ، فتصب منه في الانبوبة النازلة على المركز الكهربائي . ويقع الحاووز قرب بلدة كوسبا امّا الانابيب الخارجة منه فتمرّ تحت طريق العربات الموصلة الى بشراي . وهذه الانابيب من الفولاذ طولها ٨٥٠ متراً ، وقطرها ٨٠ سنتيمتراً ، وغلاظتها لا تقل عن العشر مليمترات (انظر الرسم ١٠) . وقد اخذت الشركة الاحتياطات الكافية لوضع انبوبة ثانية اذا لزم ، تكون ملاصقة للاولى ، في القسم الاعلى ، على مسافة ٥٥٠ متراً . والمقصود من ذلك زيادة كمية الماء النازلة على الوسط الكهربائي لزيادة القوة .

موقع المركز الكهربائي في وادي ابي علي ، بانحطاط ٢٥٠ متراً عمودياً من

١) لم ينتهِ عمل هذا الحاووز بعد .

اعلى الانابيب ، وهو جميلٌ بمحيطه الطبيعي من خضرةٍ وصخورٍ وماء . وانني لا انسى ما نسيت مطلّه من طريق العربات اذ يظهر في منعطف النهر ، مسنداً ظهره الى الجبال الوعرة . اما طريق العربات هذه ، فخصوصية للمركز ، قد جاءت، بهمة الاب انطونيوس جعجع ، تضاهي طرقات ادارة النافعة صنعاً واتقاناً . كيف لا وعرضها لا يقل عن الستة امتار ، وتخطيطها من الطف ما وجد فنياً وطبيعياً ، ومن جدرانها السائدة ما يقارب علوه العشرين متراً ، اما طولها فـ ٢٨٠٠ متر .

يصل الزائر الى مركز ابي علي فيهوله منظر الانابيب نازلة عليه ، مثبتةً في الصخور . فاذا دخله رأى مجموعاً اول من دوّامةٍ ومولدة كهربائية قوته اربعة آلاف حصانٍ يدورُ بضخامةٍ وجلال (انظر الرسم ١١) . اما الدوّامة فمزدوجة، وهي من النوع المعروف بدولاب پلتون ، تدور بسرعة ٧٥٠ دورة في الدقيقة لضغط ٢٥٠ متراً من الماء وكمية ١٤٠٠ ليتر في الثانية . واما المولدة الكهربائية فقوتها ٣٤٠٠ كيلو - ڤولت - امپار ، وتوترها ٥٥٠٠ ڤولت . وللمجموع منظِّم اوتوماتيكي للسرعة يعدل كمية الماء النازلة على الدوامة باختلاف القوة المطلوبة .

وقرب المجموع الاول مجموع ثانٍ نظيره رأيته تحت التركيب ، وربما يكون قد تمّ اليوم . وقد افسحت الشركة مركزاً لمجموعٍ ثالث تقوم بتركيبه اذا اضطرها اليه الغد .

وكما في مركز بشرّاي نرى في مركز نهر ابي علي من لوحاتٍ لوزنِ المجرى ، ومنظمات للتوتر ، وكبّاساتٍ يحكم بها الواقف على دفةِ المركز على جميع آلاته فيسيرها ويوقفها بحركةٍ صغيرة ، ومن محوّلاتٍ كهربائية لرفعِ المجرى من توتر ٥٥٠٠ ڤولت الى توتر ٣٥٠٠٠ ڤولت تسهيلاً لنقله الخ ... غير ان مركز ابي علي اكثرُ غنىً ، واتقن صنعاً ، فلا يستشفّ منه فقرٌ او اقتصاد ؟ هو بكلِّ معنى الكلمة مركز عصري يفاخر المراكز الاوربية . واثباتاً لذلك فاني اعيد تلك العبارة لأحدِ زملائي الاختصاصيين اثر عودته من مركز نهر الصفا اذ قال: « انه لمركز يُستشمُّ منه الاقتصاد وهو لا يقارب جودة

واتقاناً مركز نهر ابي علي »

ولم تنسَ « القاديشا » في مركز ابي علي شيئاً من الضروريات او الكماليات كجسرٍ سيّار لتركيب الآلات ونقلها ، ومركزٍ لتجربة قوة المولّدات بواسطة تسخين الماء ، وبيتٍ لسكن رئيس المركز . . . ومما ينتبه اليه ، وهو يدلّ على انتباه الشركة ، سطح المركز وقد عُمل من البطون المسلّح بجسورٍ غليظة خشية انهيار بعض الصخور .

امّا تكاليف المشروع فتبلغ الالفي فرنك لكل حصان وهو مبلغ زهيد نظرًا لما جيء به من الاعمال الخطيرة من سدّ ، وقناة ، وانابيب ، وابنية ، وآلات .

ولمركز ابي علي اهمية كبرى في تنظيم القوة . فان اغزر مياهه في الشتاء ، بنزول الامطار ، خلافاً لمركز بشراي المغذّى بمياه الثلوج . فالمركزان اذًا يتبادلان القوة الكهربائية من فصلٍ الى فصل ، فيعطي الاول ما ينقص الثاني في الشتاء ويستردّه في الصيف . وهذا ما يُعرف اليوم في اوربة بمبدأ « تبادل القوة » وهو يُستخدم ليس فقط من مركزٍ الى مركز بل من شركة الى شركة ، فتستفيد البلاد من قواها الطبيعية اينما وجدت وفي اي فصلٍ كان .

مركز بلوزا

وبين بشراي وكوسبا مركزٌ لشلّالٍ ثالث يعرف بشلال بلوزا ربّما حققته « القاديشا » يوماً ما .

وعلوّ ذاك الشلال ٧٥٠ مترًا ، ومياهه ٤٧٥ ليترًا في الثانية ، وهو يعطي في ايام الشحائح قوة اربعة آلافِ حصانٍ على الاقل .

٣ الاسلاك والمحوّلات الكهربائية

قلنا أن القوة الكهربائية الخارجة من المولّدات بتوتّر ٥٥٠٠ ڤولت مثلث تحوّل ، سواءٌ أكان في مركز بشراي او في مركز ابي علي ، الى توتّر ٣٥٠٠٠ ڤولت ، قصدَ نقلها . والنقلُ يصيرُ بواسطة جهازٍ اساسهُ اسلاك ثلاثة ، من النحاس الاحمر ، مرتكزة على اعمدة من البتون المسلّح فوق فناجين مخصوصة

من الزجاج . يخرج الجهاز ، بتوتر ٣٥٠٠٠ ڤولت ، من مركز بشراي الى بزعون وحصرون ، الى الحدث ، الى كوسبا ، الى زغرتا ، فطرابلس . ومن كوسبا فرعٌ يصل الى شكا بطريق اميون كما يظهر في الخريطة ١٢ . اما غلاظة الاسلاك ف ٢٩ مليمترًا مربعاً لكل سلك بين بشراي وطرابلس ؛ و ٢٨ مليمترًا بين مركز ابي علي وشكا . ويبلغ طول الجهاز هذا ٦٠ كيلومترًا .

وفوق الاسلاك الناقلة للقوة الكهربائية سلكٌ رابع من الفولاذ يسيرُ من عمودٍ الى عمود قصدَ وقاية الجهاز من عمل الصاعقة . وهذا السلك الواقي ذو اتصالية بالارض الرطبة ، فلو وقعت الصاعقة على الخط لاستلمها السلك وتسرَّبت منه الى الارض .

ويُستخدم اليوم مركز ابي علي كمركز قطع ووصل بين الاسلاك توتر ٣٥٠٠٠ ڤولت . وفيه خطط ست : ثلاث منها لطرابلس ، وثلاث لوجهة بلوزا — بشراي وشكا — بيروت .

وفي طرابلس جهازٌ ثانٍ لتوتر ٥٥٠٠ ڤولت ، ممدودٌ في الشوارع ، تحت الارض ، يوصل الكهرباء الى المحوّلات الكهربائية الثانوية المتفرقة في احياء البلدة . يمتدُّ ذلك الجهاز على طول عشرة كيلومترات تقريباً بشكل حبل غليظ ضمنه ثلاثة اسلاك ثخانة الواحد منها ٢٠ مليمترًا مربعاً على الاقل . والاسلاك الثلاثة مغموسة بمواد غير موصلة كالشمع ونوع من الصمغ ، تقي عمل الاسلاك بعضها على بعض .

وهنالك جهازٌ ثالث للتوتر المنخفض ، ١١٠ او ٢٢٠ ڤولت ، ممدودًا في الشوارع والطرقات لتوزيع القوة والنور على الزبائن ويزيدُ طوله على الخمسين كيلومترًا لطرابلس والقرى .

ومما لا ريب فيه ان اجهزة نقل القوة وتوزيعها تستغرق قسماً كبيرًا من رأسمال كل شركة . فلو عدّدنا ما صُرف من النحاس فقط لمشروع القاديشا لوجدنا ما ينيف وزنه على ١٢٥ طناً اي ما يبلغ ثمنه اليوم ، رغم رخص النحاس ، عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهباً . هذا خلا الاعمدة والفناجين الزجاجية وتكاليف المدّ وغيره ...

اما مراكز التحويل فعددها عشرة خلا ما في طرابلس من المراكز الثانوية المتفرقة في احياء البلدة وهي مرسومة في الخريطة ١٢ بشكل دائرة سوداء . والمجرى النهائي المستعمل يبلغ توتر ١١٠ ڤولت في طرابلس و٢٢٠ ڤولت في القرى . والقصد من استخدام توتر ٢٢٠ ڤولت في القرى التوفير من غلاظة الاسلاك . فلو استخدم توتر ١١٠ ڤولت للزم مضاعفة الاسلاك ، وهو شيء مكلف خصوصاً في القرى المشتتة المساكن . ولا بدَّ لنا من التذكير انه لا يجوز توزيع الكهرباء بتوتر يزيد على ٢٢٠ ڤولت نظرًا للخطر الناجم من استعمال التوتر العالي. وتبلغ قوة مراكز التحويل لشركة القاديشا ٤٥٠٠ كيلو ـ ڤولت ـ امپار اي ما يقارب الخمسة آلاف حصان ، منها ٢٨٥ كيلو ـ ڤولت امپار للقرى ، و٣٠٠٠ لشركة السيمنتو في شكا ، والباقي لمدينة طرابلس .

٤ً المقطوعية

من المعلوم ان المشاريع لا تحيا الا اذا آزرها الاهلون بالتهافت على مصنوعاتها ومنتوجاتها . والمشاريع ، خصوصاً الكهربائية والميكانيكية ، اولى من التجارة بتلك المؤازرة نظرًا لضرورة استهلاك ادواتها وآلاتها . فلو بارت صناعة التاجر مثلاً لخسر فائدة ماله فقط ، اما الشركات فتخسر فوق فائدة المال مبلغاً يعادل ما تخسره الآلات من جراء استخدامها .

ففي مركزي بشراي وابي علي اليوم قوة كهربائية تبلغ ٣٦ مليوناً من الكيلوات ـ ساعة في السنة. واذا جيء بمركز بلوزا بلغ ذلك العدد ٦٠ مليوناً . اما ما تبيعه «القاديشا» من هذه القوة فسبعمائة الف كيلووات ـ ساعة لسنة ١٩٣٠، عنها ١٣٠٠ مشترك ،ومليونين وسبعماية وخمسين الف كيلووات ـ ساعة لسنة ١٩٣١ عنها ٢١٠٠ مشترك . اما مقطوعية ١٩٣٢ فيؤمل ان تكون ثمانية ملايين كيلووات ساعة . ولا شك في ان الايام تقيض لها مقطوعية اوسع خصوصاً لما يلوح في طرابلس من المشاريع العمرانية الجديدة .

تلك لمحةٌ عن اعمال « القاديشا » وهي مثالٌ يُقتدى به . ولا شك في ان تلك الاعمال كانت سبباً لتشجيع بعض الصناعات،فبمثلها تحيا البلاد وبمثلها يفتخر الوطنيون .

المصريون في لبنان وسورية

قبل مائة سنة

معلومات وملاحظات

بقلم ابراهيم بك ابو سمرا غانم

٢

تابع الثورات على الحكومة المصرية

بعد ان عاد ابراهيم باشا من انتصاراته على الجيوش العثمانية ، فكر في تجنيد المسلمين جبراً . فشق عليهم ذلك ، ولم يطيقوا صبراً على احتمال هذه الحالة الشاذة ، فثار ثائرهم . وكان اول من نادى بالعصيان اهالي نابلس ومن جاورهم من الانحاء الفلسطينية . وكان قائد الثورة وبطلها الشيخ قاسم احمد النابلسي ، فمشى الثائرون مهاجمين القدس ، واكرهوا حاميتها الى الالتجاء الى القلعة والى برج داود . فلما علم ابراهيم باشا بالامر اسرع بثلاث فرق الى نجدة المدينة ، فدخلها وتحصن فيها . فاتته نجدة من دمشق بقيادة الامير آلاي مصطفى بك ، فكمن لها النابلسيون في مضايق عجلون وبددوها . ولما بلغت هذه الاخبار محمد علي أسرع الى نصرة ولده واسعافه بالمدد ، فجاء من الاسكندرية ومعه خمسة عشر الف جندي . ونزل في يافا وراسل الشيخ قاسم احمد ، زعيم الثائرين ، ليرفع الحصار عن القدس مع الوعد له بالتسليم بجميع مطاليبه . فحضر الشيخ الى يافا بعد ان امر مواطنيه بايقاف الحصار . ولما قابل محمد علي اشترط عليه اول كل شيء اعفاء الاهالي من الخدمة العسكرية ، واعلان العفو العام ، والامتناع عن احتكار الحبوب ، والغاء الفردة ، واعادة الضرائب الى ما كانت عليه في زمن عبدالله باشا . فقبل محمد علي بهذه الشروط . وعاد الشيخ قاسم الى القدس ورفع الحصار عن المصريين .

ثم سادت السكينة في البلاد الفلسطينية برهة . وبينما كان الناس يأملون التمتع بالراحة والسلام وقتاً طويلاً ، اذا بابراهيم باشا يُعيد الكرة على البلاد النابلسية على رأس ستة عشر الف جندي . فسالت الدماء انهاراً ، وانتشر الدمار في كل ناحية ، فهُدمت نابلس وحبرون ، وأُعمل السيف في رقاب سكانها ، والقي القبض على الشيخ قاسم احمد وسيق الى دمشق حيث قُطع رأسه مع رؤوس اربعة من ابنائه وكثيرين من مشايخ تلك البلاد .

وفي تشرين الاول من السنة ١٨٣٤ ، نشبت نيران الثورة في ولاية حلب ، وفي بلاد بعلبك ، وجبل الشيخ . واخذ الثوار يقطعون طرق المواصلات على المصريين ، فلجأ ابراهيم باشا الى الامير بشير لينصره على المتاولة ، فلبى الطلب مسرعاً وسيَّر ابناءه الى جهات بعلبك فاخمدوا في الحال ثورتها .

وفي اوائل السنة ١٨٣٥ ، امتدَّ لهيب النار الى فلسطين ، وكليس ، وشمالي حلب ، وادنه . ولكن المصريين اطفأوها بعد ان سفكت دماء غزيرة .

وفي تلك السنة ايضاً امتنع الجوارنة عن دفع الضرائب . فأُرسلت فرقة مصرية لارغامهم على الدفع . ففاجأتها ، وهي معسكرة في احدى السهول ، جيوش وافرة من دروز حوران والنصارى المقيمين بينهم ، ومن عرب عنزه ، وقتلت قائدها الفريق محمد باشا والامير آلاي يعقوب بك ، وشتَّتت شملها .

ولما بلغت هذه الاخبار المشؤومة ابراهيم باشا ، وكان حينئذٍ في انطاكية اعلم اباه بالامر وسأله ان ينجده بالرجال . فبعث اليه وزير حربيته احمد باشا مع تسعة آلاف مقاتل . ولما وصلوا الى اللجا وتوغلوا فيه اطبق عليهم الثائرون ، وقتلوا منهم ثلاثة آلاف رجل ، وغنموا مدفعين وكمية وافرة من معدات القتال . وقد قتل في هذه المعمعة امير آلاي وعدد كبير من الضباط . وكان في مقدمة ثوار الدروز احد فرسانهم المغاوير شبلي آغا العريان ، الذي منحته الدولة العثمانية بعد حين لقب باشا وقلّدته متصرفية بغداد .

فهال ابراهيم باشا خبر اندحار عساكره وعجزها عن التغلب على الثائرين . فسيَّر الى الامير بشير الرسل يستنجده على قتال الثوار ، وبعث اليه بستة عشر الف بارودة ليوزعها على المسيحيين مع الوعد بتخفيض الضرائب عنهم واعفائهم

الى الابد من النخوة . فسُرَّ المسيحيون من هذه الوعود الخلابة ومشوا الى قتال الثوار في حوران ووادي التيم يقودهم امراؤهم ومشايخهم. وقد وقعت مناوشات عديدة بين الجنود المصرية واللبنانيين من جهة وبين الثوار من جهة اخرى في اماكن عديدة كعيحا ونجا ووادي بكا وشبعا . وقد لقي حتفه في هذه المعركة الشيخ فضل الخازن ، والد الشيخ قعدان وجدّ شهيدي الوطن الشيخين فيليب وفريد. وقدر بعضهم عدد الذين قُتلوا في هذه المعارك بثمانية لاف مقاتل . وقد انتهت اخيرًا بفوز المصريين واللبنانيين . ثم استسلم شبلي العريان فأمّنه ابراهيم باشا واعاد اليه سيفه ، فوعده هذا بتسكين الخواطر.

معركة نزب

مضت سنتان على هذه الثورات الداخلية انصرفت فيهما الحكومة المصرية الى تنظيم الادارة والعمل في تقديم البلاد . لكنها لم تخطُ خطوة في هـذا السبيل حتى عادت الى اعداد الأهبات لكل الطوارئ ، لما علمت ان الدولة العلية التي لم تكن تطيق صبرًا على رؤية محمد علي، تابعها في الامس، مرهوب الجانب موفور الجاه ، اخذت ، باغراء بعض الدول الغربية ، تحشد جيوشها وتعدّ معدّاتها لاسترجاع اقسام المملكة التي اكتسحها جيش ابرهيم باشا.

وفي شهر حزيران من السنة ١٨٣٩ مشى الجيشان الى القتال ، وكان يقود العثمانيين الصدر الاعظم حافظ باشا وبعض قواد بروسيين احدهم الجنرال مولتك، الذي اشتهر فيما بعد بقيادة الالمان في الحرب السبعينية ضد الفرنسويين، ويقود الجيش المصري ابرهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي. ودارت بين الفريقين رحى حرب طاحنة دامت يومين ، وانتهت بانتصار المصريين انتصارًا فاق انتصارهم الذي احرزوه في موقعة قونية . ولقد اعتقد الناس ان ابراهيم باشا ، الذي اسكرته خمرة الفوز ، يتابع الزحف على الاستانة فيفتحها ويستولي على تخت آل عثمان . ولكنه رجع عن ذلك ، وبدلًا من السير الى الامام ، تراجع الى الوراء . وكأنه شعر بخطورة موقفه، لا تجاه تركية، بل تجاه انكلترة وحلفائها . وبعد ستة ايام من معركة نزب ، توفي ، في الثلاثين من شهر

حزيران ، السلطان محمود بعلة الصدر . وخلفه السلطان عبد المجيد ، ولم يكن تجاوز السابعة عشرة من عمره . وفي الثالث عشر من ايلول سنة ١٨٣٩ خان الاميرال احمد باشا ، قائد الاسطول العثماني ، دولته ؛ وجاء بالاسطول الى الاسكندرية فسلّمه في الرابع والعشرين منه الى محمد علي غنيمة باردة. فظنَّ هذا ان الدهر سالمه . غير ان دول اوربة ، ما خلا فرنسة ، استقبحت عمل احمد باشا الخائن وقامت جميعها تطالب محمد علي برد الاسطول.

وقد قضى محمد علي شتاء سنة ١٨٤٠ ، يتأهب للقتال ويهيئ الاعتدة الحربية التي يرافقها عادةً التضييق على الشعب بالضرائب والتكاليف والتسخير والتجنيد . واول عمل اتاه انه اخذ مال الأُردة مرتين في السنة ، وامر بتجنيد جميع الشبان المسلمين الغرباء الذين كانوا في بلاده من غير المصريين . وقبض ايضاً على التلامذة اللبنانيين النصارى الذين كان اخذهم من لبنان كلوت بك رئيس المدرسة الطبية لتلقي فن الطب فيها.

ولما بلغت هذه الاخبار نصارى لبنان اضطربوا وخافوا ان يكون ذلك مقدمة لتجنيدهم . والذي زاد في قلقهم ومخاوفهم هو ما علموه من ان مركباً مشحوناً ثياباً عسكرية رسا في مياه بيروت . فظنوا انها اعدت لهم فاخذوا يفاوضون الدروز في الثورة على الحكومة المصرية فبلغ ذلك ابراهيم باشا ، فكتب الى الامير بشير يستحثه على الاسراع في جمع سلاح النصارى.

ثورة اللبنانيين

ولما اتصلت اخبار جمع السلاح من النصارى باهالي دير القمر ، والديريون، كما لا يخفى، كانوا دوماً السبّاقين الى التحمس للدفاع عن المصلحة الوطنية ، عقدوا اجتماعاً في السابع من ايار سنة ١٨٤٠ وتداولوا في ما يحسن عمله . فقرّ رأيهم على مخابرة اهالي البلاد للمفاوضة معهم . وانتخبوا لجنة للتدبير قوامها من الموارنة : ابراهيم عيد البستاني ، ونادر ابي عكر نعمه ، ومنصور مرهج لطيف ، وفارس ثابت ، ويوسف ابو شمعون ، وغندور الكك ، وبشاره الجلخ ؛ ومن الكاثوليك : سلوم الحداد ، وحنا عيسى ، وداود الجاويش ،

وحبيب الضوصه ؛ ومن الدروز : خزوع خبيص ، وحمد الشحاري[1] . فكتبت هذه اللجنة الى اهالي البلاد تدعوهم للاجتماع في دير القمر للمداولة في الخطة التي يحسن السير عليها . فلبّى ابناء الوطن نداءهم وبعثوا اليهم بوفودهم وتحالفوا على ان يكون لهم رأي واحد وكلمة واحدة . ثم طفقوا يبثون الدعوة الى الثورة إلّم تعد الحكومة المصرية عن عزمها على جمع السلاح.

وبعد برهة ارسل الامير بشير عماله لجمع سلاح نصارى المناصف والشحار . فهاج الديريون ، وجاؤوا حيث كان مأمورو جمع السلاح وطردوهم.

ثم بلغهم ان سليمان باشا خرج من صيدا قاصدًا دير القمر لجمع السلاح ، فهبوا الى صيدا لمقاومة العساكر المصرية . وعقبهم في الهياج اهالي بعبدا فهاجموا شرذمة من العساكر المصرية كانت آتية من دمشق الى بيروت واغتصبوا اسلحتها : وكثر اللغط والهرج في البلاد ، وحامت الافكار في كل مكان حول الفتنة . ثم برز للميدان رجل يعدّه التاريخ بطل الثورة الاكبر النافخ في بوقها ، الصائل في حومتها صولات الاسود الاشاوس.

كنت اودّ ان امرّ في الكلام دون ان اذكر اسم الثائر الجديد. ولكن خشيت، ان فعلت، ان اسيء الى الحقيقة التاريخية وانا في موقف المؤرخ. هذا الرجل هو والدي ابو سمرا غانم البكاسيني فانه ما عرف بثورة الديريين ، وهو صديقهم ، الا اخذ منه الحماس كلّ مأخذ مدفوعاً بعامل المروءة والنخوة، وقد شقّ عليه ، وهو ربيب السلاح ، ان يجرد من سلاحه ويساق الى الحرب مكرهاً ليس للدفاع عن مبدأ وطني ، وانما لخدمة دولة استولى عليها حب الفتح والغزو مهما كلفها الامر من الاموال والرجال . فجاء الى سواحل بيروت في اوائل شهر حزيران من تلك السنة . وانضمّ اليه احمد داغر المتولي من برج البراجنة ، وطفقا يُغريان الاهلين على العصيان . فتألبت حولهما جموع من برج البراجنة والشيّاح ومزرعة العرب وحارة حريك والتحويطة ، واخذوا ينهبون الطحين الوارد الى بيروت لحاجات العساكر المصرية فاصابوا توفيقاً . وفي احد

١) كان الدروز يُقيمون في دير القمر قبل سنة ١٨٦٠ المشؤومة . وكان المشايخ النكديون ذوي الاقطاع فيها . ولكنهم جلوا عنها بعد ذلك بامر الدول التي وضعت نظام لبنان .

الايام هجم على رأس رجاله على بيروت ، وفاجأ ما بين بوابة يعقوب وبوابة الدركي شرذمة من الجند ، وامامها رأس غنم مذبوح. فبدد شملها وغنم منها خمسة واربعين بارودة والخروف . ثم اخذ عدد الثائرين يزيد حتى اصبح مركز الثورة الاساسي في ساحل بيروت. وقد انضم الى رجالها اهالي الشويفات وبعبدا والحدث ووادي شحرور وكفرشيما. فخرجت لقتالهم فرقة من الارناؤوط بقيادة الضابط مجهر آغا ، فلاقاها اللبنانيون الى محلة الاشرفية بقلوب جريئة تخفق فوق رؤوسهم راية مؤلفة من اللونين الاخضر والاحمر تعلوها حربة في رأسها صليب ووقعت بين الفريقين معركة دامية اندحر فيها المصريون ، وقتل ابو سمرا قائدها بيده وغنم حصانه وخمسة آلاف غرش وزعها على الثائرين . ولما بلغ خبر هذا الانتصار اهالي سائر الانحاء اللبنانية ، هبطوا من اعالي الجبال وانضموا الى اخوانهم يتقدمهم امراء ومشايخ اذكر اوفرهم شهرة وهم : الامراء فارس حسن ، ويوسف سلمان ، ومحمود سلمان الشهابيين ؛ وعلي منصور قايدبيه ، وعبدالله شديد مراد ، وعلي فارس ، وبشير احمد ، واسماعيل حسن قايدبيه اللمعيين ؛ والمشايخ فرنسيس حنا هيكل المكنى بفرنسيس ابي نادر والملقب بسردار عسكر النصارى ، وعفيف صالح ، ونقولا خازن ، وشمين صفا ، وصالح هيكل ، وبشاره فرنسيس الخازنين ؛ والشيخ عيسى الخوري ، والمشايخ يوسف حمزه ، وبطرس وحنا ابني واكد الحبيشيين ؛ وزعيتر راشد ، وخطار حنا من الدحادحة ؛ والامير خنجر الحرفوش واخوه سلمان من امراء متاولة بعلبك . وبرز من بكفيا الفارس المغوار يوسف الشنتيري المشهور.

وفي السابع من شهر حزيران اجتمع بعض اهالي كسروان والمتن وغير جهات في انطلياس ، واتفقوا على توحيد الكلمة والرأي في العمل ودخلوا الكنيسة ، ووقعوا عهداً يلعنون فيه من يخون المحالفة.

وقد نشر تاريخ ابو سمرا غانم نص هذا العقد وهو بحرفه :

الداعي لتحريره

انه يوم تاريخه قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس نحن المذكورة اسماؤنا به بوجه العموم من دروز ونصارة ومتاولة واسلام المعروفين بجبل لبنان من كافة القرى وقسمنا يمين على مذبح القديس المرقوم باننا لا نخون ولا نطابق بضرر احد منا ابداً بل يكون القول

واحد والراي واحد ونحن جمهور الدروز اذا حدس منا وبان ادنا خلل نكون باريين من ديانتنا ومقطوعين من شركة الدروز والخطوط الخمسة وتكون نساؤنا طالقة من السبعة مذاهب ومحرمة علينا من كافة الوجوه وايضاً يشهد علينا القديس مار الياس ويكون خصمنا وقد قمنا علينا شيخاً جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنا هيكل الخازن من غوسطا ونحن جمهور النصارة الذين يخون منا يكون مار الياس خصمه ولا يكون له موتة على دين المسيح . حرر في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٥٦ الف ومائتين وستة وخمسين صح صح صح

ونصاره ومتاوله واسلام المقر بما فيه

بوجه العموم جمهور الدروز في جبل لبنان

صح انه حضرت المدونة اسماؤهم اعلاه قسموا يميناً على مذابح مار الياس بحسبما هو محرر اعلاه وللبيان حررنا بيدهم هذه الشهادة تحريرًا في ٧ حزيران سنة ١٨٤٠ مسيحية

صح كاتبه القس سبيريدون عراموني

خادم مار الياس انطلياس انطونياني

وهجم ابو سمرا برجاله وبمعيته يوسف الشنتيري ، على العسكر المصري المرابط عند الكورنتينا ، وهم يهزجون باغاني الحرب ، فالقوا الرعب في قلوب المصريين ، فهربوا من امامهم مدحورين بعد ان قُتل منهم عدد وافر . ومنذ ذاك الحين اخذ اللبنانيون يهزجون باسم ابي سمرا والشنتيري فقالوا :

في سبعين في الدبري بو سمرا والشنتيري

ما التفوش عند السلطان الخ . . .

كل هذه الحوادث جعلت المصريين يقومون ويقعدون . فامر ابراهيم باشا الامير بشيرًا ان يستعمل نفوذه في تسكين الخواطر . فاهتمّ الامير بالامر جدّ الاهتمام ، وارسل من قبله الامير بشير قاسم ملحم يسترضي الثائرين فابوا الاذعان ، فاوفد اليهم ثانية الامير ملحم بعبدا ، فلم يفلح في اقناعهم . فارسل ثالثاً ولده الامير امين وطفق يغريهم على الطاعة ويحذرهم من شر العواقب . فاجابوا انهم لا يسلمون الا اذا استجيبت مطاليبهم ، وقد رفعوا اليه كتاباً مؤرخاً في الحادي عشر من حزيران نشره المؤرخ بوجولا الفرنساوي في كتابه المعنون «*Voyage dans l'Asie Mineure*» رأيت من المفيد ترجمته الى العربية وهو :

« انكم لا تجهلون مع الامير بشير المظالم التي يتحملها اهالي لبنان وصنوف الارهاق والضرائب التي ينوؤن تحت اثقالها . لما بسطت سيطرة حكومة محمد علي على بلادنا كان اللبنانيون في مقدمة الذين ادّوا فروض الطاعة وقد رافقوا الجيوش المصرية الى محاربة دمشق وساروا الى ملاقاتها في حماه وطرابلس . ولما ثار اهالي صفد ونابلس والمتاولة ذهب اللبنانيون

بمعية الامير بشير وحاربوهم واجبروهم على طاعة الدولة المصرية. وقد املوا لقاء هذه الخدمات التخلص من الجور والعسف . ولكنهم ساؤوا فالًا وخابوا رجاء، وكوفئوا بان جُردوا من سلاحهم واجبروا بعد ذلك على التجند فكان هذا اشد المصائب التي نزلت بهم. واضم اغتصبوا نساءهم وانزلوا بهنّ جميع انواع النكال وربطوهنّ الى الاشجار . وقد اوجب عليهم الامير بشير دفع مال الفردة الذي تقاضاه ايضاً عن الذين ماتوا او هلكوا في الحروب في سبيل المصريين ولما اكتشفوا منجم الفحم الحجري في الجبل الزموا اللبنانيين بتعدينه واكرهوهم على تقديم ادوات العمل بدون ان يدفعوا لهم اجرهم وارسلوا مراقبين يناظرون الاعمال وكانوا يدفعون للعملة وللمكارين لنقل الفحم الى بيروت اجورًا زهيدة واكرهونا على دفع باقي المرتبات من جيوبنا وعلى تقديم الاخشاب والاكياس ولم يدفعوا لنا سوى ربع قيمتها وسخرونا بنقلها من قرانا الى المنجم مجانًا . ولو شئنا تعداد جميع هذه المظالم لطال بنا المجال ولوجب علينا ان نعدّ ضربات العصي والاهانات التي انزلوها بنا كما فعلوا بفلاحي مصر. ولا نذكر الاموال التي تقدّمنا لامرائنا وللبلوكباشية . ومنذ وضعوا المحجر الصحي الى الان قد اوجبوا على ابناء الجبل ان يقدموا الكلس بثمن بخس وان ينقلوه بدون اجر على دوابهم. وفرضوا ضرائب جديدة على المطاحن وساقوا البنّائين قسرًا الى عكا والى المحجر الصحي والى غير انحاء بعيدة بربع الاجر المعتاد واكرهوا الناس على العمل في الاشغال العمومية في المدن والقرى وفي كل مكان حتى اصبحت العيال اللبنانية في اشد حالات الفاقة والاملاق. وشمل الخراب كافة البلاد لنفاد المال والرجال والماشية منها. وعطلت الارض ونضب مورد الرزق. وكثيرون من المكارين اهلكوا بغالهم او جمالهم او باعوها بابخس الاثمان تخلصاً من السخرة. وقد استاقوا السواد الاعظم منا الى العمل في منجم الفحم او في خدمة الجيش. ولما أُنزلت باخواننا ومواطنينا اهالي حوران نقم الحرب وسيموا خسفًا وهوانًا سلّمتنا الحكومة اسلحة وارسلتنا الى قتالهم فقمنا بهذا العمل مدة سنتين وقد لقي الكثيرون منا حتفهم إما من مشقات السفر او في ساحات القتال وقد تكافأنا فوق هذه المآثر البليغة نحو الفي كيس. ولما رأينا اخيرًا اننا اضعنا اموالنا وفقدنا اولادنا وخسرنا حريتنا وانه لم يبقَ لنا سوى الهلاك واليأس ثار ثائرنا لنتخلص من الجور ونغنم شيئًا من الراحة والحرية فاذا كانت الحكومة تراعي العدالة وترفع عنا نير الظلم، فاننا مستعدون للتسليم والانصياع الى اوامرها. لاننا لا نطمع من ثورتنا بانشاء دولة وانما جلُّ مرادنا هو ان ننجو من هذا الجور الذي لا يطاق لاننا لا نستطيع ان ندفع سوى مال اميري واحد على املاكنا والجالية. فان قبل التماسنا وارتفع الظلم عن عواتقنا كان لنا مطاليب نرجو تحقيقها وهي : ان يؤخذ منا مال اميري واحد ومال عنق واحد (جالية) وان يجمع المال تحت إشراف عمال انكلترا وفرنسا وبواسطة قناصلهم في هذه البلاد حتى اذا كانت الحكومة لا تقوم بهذه التعهدات بكل دقة يبقى لنا الحق ان نطلب من هاتين الدولتين تنفيذها. واننا سنبقى مرابطين في اماكننا الحالية منتظرين الجواب فان كان بالايجاب افترقنا كلٌّ الى بيته وان كان بالرفض فنحن مؤثرون الموت على الحالة الحاضرة . فلتتدبر السلطة الامر.

عموم اهالي جبل لبنان (للبحث صلة)

كتاب عيون الاخبار

تأليف ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

المجلد الاول (ص ٣٤٤) ، والثاني (ص ٣٧٦) والثالث (ص ٣٠١) والرابع (ص ٣١٥)
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥ – ١٩٣٠ ، قطع ٤ كبير

بقلم الاب توتل اليسوعي

عدّوا لابن قتيبة ٤٧ كتاباً نسبوها اليه. مواضيعها العلوم الدينية في القرآن والحديث والفقه ، والادب والشعر واللغة ، والطبيعة والاخلاق ، والتاريخ ، وغير ذلك مما يشهد لصاحبه بسعة المعارف وغزارة المادة والكدّ الذي لا يعتريه الملل في الجمع والتأليف والتحبير . من جملة تلك الكتب بعضها مطبوع بجزئه او بكماله ، ككتاب الاشربة وادب الكاتب ، والميسر والقداح ، وكتاب فضل العرب على العجم ، وكتاب المعارف ، وطبقات الشعراء ، وكتاب الامامة والسياسة ، وتأويل مختلف الحديث ، والرحل والمنزل ، واللبأ واللبن ، وعيون الاخبار الذي نعرض لوصفه . وان هذا الكتاب موسوعة حوت كل ما كان يحتاج اليه في العصر الثالث الهجري ، رجال الحكم والادب للحصول على الثقافة العامة التي لم يكن لهم غنى عنها . وفي ايامهم كانت المكاتب نادرةً والكتب غير متوفرة الا للقليلين ، فاعزها منزلة تلك التي تكفي عن مراجعة غيرها ، مثل عيون الاخبار . .

وصف المؤلف كتابه في مقدمته فقال انه جمع فيه « المتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء ، وسير الملوك ، وآثار السلف » . فيستطيع المطالع ان يأخذ منها ما يروق له ، فيقوّ ثقافته ، ويتخلص من مساوئ الاخلاق ، ويتروّض على حسن السلوك ، واجادة الانشاء فينال طلبه اذا سأل ، ويردّ اللوم عنه اذا عوتب الخ . . . وفي الكتاب نصائح للخاصة والعامة ، ومواعظ وارشادات فهو « مثل المائدة ، تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الآكلين » او

كالقاموس المعتمد عليه في الجواب على كل مسألة من المسائل التي كانت تطرح على متعلّمي ذلك العصر في مختلف العلوم .

فكانه خلاصةٌ لمؤلفات ابن قتيبة ، العديدة . وقد قسمه الى عشرة كتب بعد ما افرد عنه كتب الشراب والمعارف والشعر ، وتأويل الرؤيا .

والكتب العشرة مواضيعها : ١ً السلطان ٢ً الحرب ٣ً السؤدد ٤ً الطبائع والاخلاق ٥ً العلم ٦ً الزهد ٧ً الاخوان ٨ً الحوائج ٩ً الطعام ١٠ً النساء .

وكان قد طُبع من عيون الاخبار الكتاب الاول في مصر سنة ١٨٨٢م — ١٣٠٠ هـ ، و ١٩٠٧ م — ١٣٢٥هـ . وطبع بروكلمان الكتب الاربعة الاولى طبعة بمنتهى الدقة (١٩٠٠ — ١٩٠٨) . على ان الكتاب بكامله لم يظهر الا بين ١٩٢٥ و ١٩٣١ وقد قامت بطبعه دار الكتب المصرية مع سائر الموسوعات العلمية والادبية والتاريخية التي عرفت «مشروع احياء الاداب العربية» وذلك في ظلّ حماية فؤاد الاول ملك مصر .

اعتمد النُشار في طبعته على نسختين ١ً نسخة كوبريلي بالاستانة (رقم ١٣٤٤) واجزاؤها كاملة ، ونسخة بروكلمان في الكتب الاربعة الاولى ، وهذه مأخوذة عن نسخة كوبرلي المذكورة ، وعن نسخة اخرى مقصورة على كتابين ، الاول والثاني ، ومحفوظة في لينغراد .

ظهر الكتاب باربعة مجلدات ، مطبوعاً طبعاً انيقاً كما هو معهود في ما تصدره دار الكتب . وقد سبق للمشرق وصف مطبوعاتها كالاغاني ، ونهاية الارب وغيرها . والمجلد الرابع من عيون الاخبار مصدّر بمقدمة واسعة موقعة باسم السيد احمد زكي العدوي ، رئيس القسم الادبي في الدار ، ترجم فيها الكتاب وصاحبه ، وبعد المقدمة روامز الصفائح الاولى للمخطوطات الذي طبع عنها كتاب عيون الاخبار ، واخيراً ، في الذيل فهارس لا يقلّ عددها عن الثمانية فضلاً عن الفصل في الاستدراكات .

لو يؤذن لنا بالاعراب عن رغبة لمثل تلك الموسوعات ، لاشتهينا لها فهرساً للمواد ، مرتباً على الابجدية. وليس الامر بالعسير نسبة للمجهودات التي بذلت بسخاء في وضع فهارس اهميتها دون اهمية فهرس المواد ، مثلاً فهرس القوافي .

قال ابن قتيبة في المقدمة (١ ، صفحة س) :

ان وقفت على باب من هذا الكتاب ، ولم تره مشبعاً ، فلا تقضي علينا بالاغفال ، حتى تتصفح الكتب كلها ، فانه رب معنى يكون له موضعان وثلاثة مواضع . وان مواد الكتاب الواقعة عناوينها في المقدمة (صفحة س — ق) اذا رُتبت بالابجدية واشير الى صفحاتها ، لاغنت المطالع عن «تصفح الكتاب كله».

* * *

اخذ مؤرخو الآداب العربية يبحثون على اصلها فيما اقتبسته عن آداب الهند وفارس واليونان والسريان . وان كتاب عيون الاخبار ، الكامل الطبع ، بفضل فهارسه ، واخصّها فهرس اسماء الكتب والامكنة والاشخاص ، بسط الطريق لمن يتتبع اثار كل مدنية من المدنيات التي اثر في العرب ، مفتشاً عليها ، واقفاً على تطورات نفوذها فينا .

من امثال ما يمكن الدارس استثماره من هذا الكتاب ، ولا بد من يلفت اليه نظر اساتذة تاريخ الادب العربي ، هو تعليماته عما اداه للعرب احتكاكهم بالهند ، مثلاً . قلت بالهند ، على سبيل اختيار مادة بين عشرات ، لان ما يقال عنها قد يمكن استنتاجه بالطريقة ذاتها عن بلاد فارس ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ؛ وما يقال على المدن والاقطار قد يصح باولى حجة ايضاً في استنثار اثار الاشخاص والقبائل . وهم عشرات . . . وها اني احاول ان اكشف على تأثير الهند فينا من موسوعة عيون الاخبار . واعلم ان ابن قتيبة ولد في البلاد الواقعة على منتصف الطريق بين الهند وجزيرة العرب . فكان ابوه من مرو ، ومولده في البصرة او في بغداد ، سنة ٨٢٨ م — ٢١٣ هـ ، وقد نشأ بها وتثقف على رجالها ، وتولى القضاء في دينور بالقرب من همذان في فارس ، واتصل بابي الحسن عبيد الله بن خاقان ، وزير الدولة العباسية ؛ واسرة ابن خاقان الوزيرية شهيرة بالكتب التي جمعتها في دارها والعلماء الذين قربتهم اليها[1] ؛ فتوفرت لابن قتيبة مصادر الدرس والمطالعة والتأليف ، وهو في ايام بلغت الدولة العربية

١) راجع درس اوانا ينتو على الفتح بن خاقان وزير المتوكل *Rivista degli Studi Orientali* 1932, p. 133

اوج عزها ، فامتدت الى اقاصي الافاق شرقاً وغرباً ، واستمدت من عمالها شتى التعليمات عن البلاد التي فتحتها . فما عسى ان تكون تلك التعليمات عن الهند ، وما هي تأثيراتها في العرب ؟ :

ذكر ابن قتيبة بلاد الهند لا اقل من ١٢ مرةً في اسماء الامكنة ، و٣٩ مرةً في اسماء القبائل. فافادنا انها كانت مع الصين والسند عملًا للعراق ، وقد فتحها محمد بن الحكم الثقفي وهو ابن سبع عشرة سنة . ومما لفت نظر العرب اليها ، من نباتها : شجر الساج وهو عظيم جدًا وخشبه اسود ، وشجر آخر له ورد احمر مكتوب فيه ببياض « محمد رسول الله » (كذا) (المجلد الثاني ص ١٠٠ ، ٩) ، وشجر الكرمة (١ : ١١ ، ١٣) ؛ ومن الحيوان : الكلب ، والفيل ، والاسد ، والحية ، والكركدن ؛ ومن اشكال وطباع هذه الحيوانات اخذوا استعارات وصفوا بها اخلاق الناس . وانتبه العرب لحلى اهل الهند ولباسهم ، (١ : ، ٢٢ ، ١١) واستحسنوا فيهم صناعة السيوف (١ : ٩٤ ، ١٨) واستجلبوا المسك من عندهم (٢ : ٢٨٨ ، ١٧)

واثرت في العرب ، ومن العرب اتصلت بالآداب الغربية الامثال والحكم على اختلاف معانيها ومبانيها ، وهي خلاصة ما وقف عليه العقل البشري من اختبارات الدهور ، فعبر عنه تعبيرًا قليل الكلام كثير المعاني يسمعه السامع فيوعيه صدره ، ويراجعه في قلبه ويستحضره عند الحاجة اليه في تدبير امره في شؤون الحياة ، سواء أكان فردًا من افراد العامة او اميرًا في قومه . وقد يجب كتاب الهند الذي بلغ الينا امره عن قلم ابن قتيبة ان يرتب تلك الامثال والحكم مثلثة « او مثناة » او مشفعة باستمارة تقربها للاذهان فكثيرًا ما يذكرنا باسلوب ابن المقفع وكليلة ودمنة .

وبالاجمال قد يقال عن هذه الامثال والتعاليم انها لا ترمي الى غرض ابعد مما يرجوه الانسان لنفسه في هذه الحياة الفانية من راحة وطمأنينة وتمتع باطايب الدنيا ، والانتصار على الاعداء ، والتفوق على الاقران ، وممارسة الفضائل الطبيعية التي يؤول امرها الى سعادة الفانية كحسن الجوار والضيافة والحلم ، والكرم والصبر وغيرها. فالصوم يمتدح لان فيه اطالة الاعمار (٣ : ، ٢١٨ ، ٣)

وقد يُذكر التبتل عرضاً وعلى سبيل الحديث ، فلم تستفد الآداب العربية والحضارة العربية على ما ترى ، من كتاب عيون الاخبار ، من المدنية الهندية الافكار والعواطف السامية التي ظهرت في متصوفي الاسلام الورعين المتخشمين ، المبتغين اجر الآجلة دون العاجلة.

اليك بعض الشواهد:

من كتاب السؤدد ، في الهمة والخطار بالنفس (١ : ١٥,٢٣١)

« وفي كتاب للهند : ثلاثة اشياء لا تنال الا بارتفاع همة وعظيم خطر : عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو . وفيه ايضاً : لا ينبغي ان يكون الفاضل من الرجال الا مع الملوك مكرّماً او مع النساك متبتلاً ، كالفيل لا يحسن ان يرى الا في موضعين : في البرية وحشياً او للملوك مركباً . وفيه ايضاً : ذو الهمة ان حط فنفسه تأبى الا علوّاً كالشعلة من النار يُصوّبها صاحبها وتأبى الا ارتفاعاً . »

من كتاب الحرب (١ : ١١١'١١)

« وقرأت في كتاب للهند : لاظفر مع بغي ، ولا صحة مع نهم ، ولا ثناء مع كبر ، ولا صداقة مع خب ، ولا شرف مع سوء ادب ، ولا برّ مع شحّ ، ولا اجتناب محرّم مع حرص ، ولا محبة مع زهو ، ولا ولاية حكم مع عدم فقه ، ولا عذر مع اصرار ، ولا سلامة مع ريبة ، ولا راحة قلب مع حسد ، ولا سؤدد مع انتقام ، ولا رئاسة مع غرارة وعجب ، ولا صواب مع ترك المشاورة ، ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء . »

وايضاً في كتاب السؤدد عن كتاب للهند (١ : ٦'٢٤٨)

« ذو المروءة يكرم معدماً ، كالاسد يُهاب وان كان رابضاً ، ومن لا مروءة له يهان ، وان كان موسراً كالكلب وان طُوّق وحلّي »

واليك القصة التي وصلت عن الشرق الى لافونتين الافرنسي فانشأ عليها مثاله على الفلّاحة وجرة اللبن ، ووردت في مجاني الادب تحت عنوان الراعي والجرة (للقليوبي) ١ : ١٠٢

« ان ناسكاً كان له عسل وسمن في جرة ، ففكر يوماً فقال : ابيع الجرة بعشرة دراهم ، واشترى خمسة اعنز فأولدهن في كل سنة مرتين ؛ ويبلغ النتاج في سنين مائتين ، وابتاع بكل اربع بقرة ، واصيب بذراً فازرع ، وينمي المال في يدي ، فاتخذ المساكن والعبيد والاماء والاهل ويولد لي ابن فاسميه كذا وآخذه بالادب ، فان هو عصاني ضربت بعصاي رأسه ؛ وكانت في يده عصا ، فرفعها حاكياً للضرب ، فاصابت الجرة فانكسرت وانصب العسل والسمن على رأسه . »

وفي كتاب السلطان تعليمات كثيرة عن المبادئ الهندية في الحكم والسياسة

وتدبير الممالك وكلها تنم عن وجود السلطة في قبضة رجل واحد استأثر بهـا لنفسه[١] . فتلقينها العرب كان من العوامل التي ساعدت على انقـلاب احوال الحكم في دولتهم . فان السلطة ، في بدء الفتوحات العربية كانت رهينـة ارادة افراد يتشاركون فيها اعني بهم الزعماء والقوّاد من قريش ، ومـا مضى قرنان على ذلـك الا اصبح الحكم في ارادة رجـل واحد مستبد برأيه شأن الخليفة الرشيد او المنصور . وقد يؤدي التوسع في البحث الى ابعد ما توخيناه في هذا المقال من وصف الكتاب . على انه يروقنا ان نلفت نظر القراء الى درس حديث قام به الالماني ريشتر[٢] في كتاب وضعه على الاخلاق السلطانية ومثالها الاعلى في العصور الاسلامية الاولى . مهّد فيه الى البحث على فلسفة السلطة عند العرب مراجعاً في ذلك بعض ما كتبه ابن المقفع في الادب الكبير وفي كليلة ودمنة ، والجاحظ في التاج ، وابن قتيبة في العيون ، وابن عبد ربه في العقد الفريد ، واحمد بن ابي طـاهر في كتاب بغداد ، مستطرداً من ثمّ في الكلام على ما اتى العرب من تعاليم اليونان في السياسة . وان غرضه انما هو تتبع مجاري الافكار صعوداً الى ينابيعها ، والمعرفة لكل ذي حق حقه في نشأة فكرة السلطان ونظام الملك وآداب السياسة وتطوّرها . فخصص عدة صفحات في تحليل الكتاب الاول من العيون مقابـلاً بينه وبين كتاب التاج وكتاب العقد ، منقباً عمن له الافضلية في التأثير في غيره . ومثل هذه المباحث اصبح السبيل اليهـا سهلاً بفضل الطبعات المزيّلة بالفهـارس شأن طبعة دار الكتب للعيون .

واخيراً نذكر جوزف هوورفيز المستشرق المعلم في كليـة فرنكفورت . باشر نشر ترجمة كتاب العيون الى الانكليزية ، في مجلة الاداب الاسلامية[٣] المطبوعة في حيدر اباد . لكن المنية حالت دونه ودون انجازه عمله . رحمه الله .

---

١) راجع المجلد الاول ص ٢، ٣، ٧، ١٨، ١٤، ١٩، ٢١، ٣٤ الخ . . .

٢) G. Richter : *Studien zur Geschichte der Älteren Arabischen Fürstens-spiegel*, Leipzig, 1932.

٣) *Islamic Culture* 1930-31

بشري مدينة المقدمين

معلومات ومستندات

لالخوري اغناطيوس جمجم

١

جمع حضرة الخوري اغناطيوس جمجم كثيراً من المعلومات عن بشري ، مسقط رأسه ، وطريقة معيشة اهلها وعاداتهم في الافراح والاحزان ، مما وقف عليه بنفسه او اخذه عن شيوخ البلدة ، او نقله عن التواريخ القديمة . ولما كانت اكثر تلك العادات قد اضمحلت او كادت تجاه المدنية العصرية ، رأى من المفيد تدوينها ونشرها مستندات متفرقة تفيد من لعله يهتم بتاريخ مدينة المقدمين .

موقعها الطبيعي

ترتفع بشري عن سطح البحر ١٤٥٠ متراً ، وتبعد عن بيروت ، عاصمة لبنان ، مئة وعشرين كيلومتراً . وقد بهجت السيّاح بمناظرها الجذابة المختلفة لوناً وموقعاً . وكثيراً ما ردّد بعض هؤلاء انها افضل من سويسرة بمشاهدها الجميلة ، فتراها من الشرق بساطاً اخضر اللون ، جنة فيها بيوت مظللة باشجار باسقة ، محاطة بزهر ابيض فاحمر فاصفر. اما من الجنوب فتبين سقوفها مرتبة بعضها فوق بعض ترتيب حب الرمان. وهي تكتسي في الربيع حلة خضراء تسرّ النظر وتأخذ القلب وتبرز كعروس متشحة بثوب العرس رائحتها تعطر الآفاق من شذى الورد والبنفسج والبيلسان والشقائق وفي الصيف والخريف تمتاز باثمار اشجارها وبرودة مائها . اما في الشتاء فتلبس ثوباً من الثلج ابيض ناصعاً.

ومما يحببها الى الزوار ما يرونه فوق حصرون من جبال تظهر اولاً صغيرة وتزداد صعوداً رويداً رويداً الى ان تبلغ ظهر القضيب ، اعلى قمة في لبنان

اذ يزيد ارتفاعه على ثلاثة آلاف متر . واذا تسلقه المسافر شاهد شرقاً سهولا تتموج تموج البحر خضرة ، وفي آخرها مدينة بعلبك الشهيرة ، فيسحره المنظر ولا ينتبه الا لخرير مياه الثلوج فيبرد غليله. وفي رجوعه يصل الى قلعة اللصوص فيرى بنظارته قرب غروب الشمس ، جزيرة قبرس وجبالها . وعند وصوله الى الشفق يجد امامه ما سكبته يد الطبيعة من المناظر الخلابة من قرى واشجار وخضرة واودية ولاسيما وادي قاديشا المتدفقة مياهه ، وعلى ضفتيه الطواحين والجنينات والاشجار والبيوت القديمة.

وان مدينة المقدمين مقطوعة عن جوارها ، منفردة . فهي آخر سكن من لبنان القديم ، مبنية في لحف جبل يقيها الريح الشمالية ، معرضة لنور الشمس منذ بزوغها حتى غروبها . فبردها غير قارس ، وابواب بيوتها متجهة للجنوب .

حدودها جنوباً نهر قاديشا وواديه المشهور بصوامعه التي كان عددها ، كما يقال، عدد ايام السنة، وكان يتصاعد دخان بخورها صباحاً كالضباب ؛ وشرقاً نهر نبات ؛ وغرباً نهر الرويس ؛ وشمالا الجلسة وشير حاطوم . وهي كثيرة المياه فيها نهر قاديشا ، ونبات ، والرويس ، وفي وسطها يشطرها من الشرق الى الغرب نبع مار سمعان المشتهر ببرودة مائه العذب وشلالاتها شلال قاديشا ، ونبات ، وهوة حج فارس. وعيونها عديدة نذكر منها عين البياض ، وعين العسل ، وعين الشاقوف.

سكانها

كان عدد سكانها اثني عشر الفاً ، يقسمون الى ثلاث طبقات : كهنة ، واعيان ، وشعب . الكهنة كان اعتبارهم اعتبار المسيح ، كلمتهم نافذة ، ولهم الاحترام واول متكأ . وعند مرور الكاهن كان افراد الشعب يحيونه ويطلبون بركته ، وفي وجوده كان حديثهم حديث تقوى واحتشام.

وكان السكان من عناصر مختلفة ، ولكل عنصر زعيم مترفع عن معاشرة الشعب ، من المقام الاعلى ، يقفون امامه باحترام ويحيونه بالسلام . وفي الاعياد يتواردون الى بيته علامة اقرارهم بالجميل وخضوعهم واحترامهم . اما الزعيم

فعليه الاعتناء برجاله والمحاماة عنهم وسد احتياجاتهم . وكان لـه السلطة ان يقاصّ من اذنب ، ويستخدم من اراد ، لأنه هو المرجع والمسؤوليـة عليه . فالزعماء كانوا على عدد العيال ، لكل عيلة زعيم . وعند الحاجة تجتمع الزعماء وتتبادل الآراء في خير الوطن ، وصون الادب ، والدفاع عن العرض . وعند الحرب على الزعيم ان يقدم الذخيرة ومواد القتال.

ورجال بشري رجال بأس وشغل في الصيف والربيع ، كل واحد يشتغـل املاكه . وفي اواخر الخريف ووقت الشتـاء ، يتمرّنون على الحرب بالمصارعة والمباطحة ورمي النشاب والرصاص . وكل من اصاب النيشان كان يحمل على الراحات ، ويُترنّم باسمه . وكثيرًا ما كان يُنصب الميدان فتنقسم الخيّالة الى شطرين يتمرّنون على الكرّ والفرّ . يبرز الخيال ويطلب خصمه ، فيتضـاربان ويتسابقان . واذا ارتدّ احدهما الى الوراء برز من حزبه فارس يأخذ بثأره ، وغالباً ما كان ينقلب المزح جدًا ، فيتضاربون ويتقاتلون ، ويخرجون من المعمعة بجروح وثياب ملطخة بالدماء.

اخلاقهم

اهل بشري لبَنو العريكة محبون للغريب ، بيوتهم مفتوحـة للضيافـة ؛ ضيفهم مكرم ومعزز يُقدم له الاكل والشرب والمنامة دون ثمن، ولذلك سميت « ام الغريب » . وكل من جاءها وجد الحرية والسلام والاكرام ، حتى اصبحت محطًا لكل مظلوم طريد .

وكثيرًا ما كان يلجأ اليها امراء آل الحرفوش من بعلبك عندمـا كانت تطلبهم حكومة الشام فيحتمون في بشري مع عيالهم .

ومن مظاهر كرم البشراويين ومحـاماتهم عن الضيف مـا يروى عن احد سكان دوما من انه خطف عروساً من قريته والتجأ الى مخائيل المعروف بابي سمعان جعجع ، وكان هذا غنيا كريم الاخلاق ، فقال له الضيف : « انا دخيلك قاصد معروفك خوفاً من الامير بشير . » فاجابه ابو سمعان : « الضيف معزز عندنا ، والدخيل يُفدى بالدم . وانا اتعهد لك اني ادفع مـائة كيس وكيس

واعلّق مائة مخلاية ومخلاية ، واكلّلك.» فعلم الامير بذلك فارسل الى المضيف قائلاً : « تتم قولك وكلّل العريس » فكان ما قال وارجع العريس الى اهله بالاكرام . وقد روى هذه القصة الاستاذ فؤاد افرام البستاني في كتابه « على عهد الامير » بعنوان « خطف عروس ».

فهذه المعاملة اكثرت فيها السكان حتى ابتدأ بعضهم بالانتقال فوصلوا الى سهل بعلبك واتخذوا محلات معروفة بضياع الشراوية فعمروا سبع ضيع . ولما فتحت اميركة اخذوا بالمهاجرة.

قوتهم اليومي

قد اشتهروا بالمعيشة القشفة ، فكان اكلهم دفعتين في النهار قبل الظهر دفعة ، وقبل الغروب الدفعة الثانية. اما طعامهم فكان شكلاً واحداً على المائدة ، خلا الزيتون والجبن. وكانوا لا يأكلون اللحم الّا مرة واحدة في الاسبوع ، الا في ايام المرفع المسمّى عندهم « حد الذبحة ».

اما الصوم فكان خمسين يوماً لا يأكلون فيه لحماً ولا بياضاً . واغلب ايام السنة كانت عندهم قطاعة عن الزفر.

هذه المعيشة سببت لهم عمرًا طويلًا ، بعيدين عن الامراض . وما كنت ارى في صباي من مات الا من الشيخوخة ، ولا سمعت بالامراض المختلفة خلا مرض الجدري.

عوائدهم

كانوا يتبعون ، في تأدية الاحترام ، ما قيل في « الكتاب المقدس » ان الله تعالى امر موسى ان يخلع نعليه عند تقدمه الى العليقة المضطرمة نارًا . ولذلك كانوا يخلعون الحذاء من ارجلهم ، متقدّمين حفاة ، مطأطئي الرؤوس . ولا يجلسون الى ان يأذن لهم كبير المحل . واذا سمح بالتدخين كانوا يقولون : « دستور يا شيخ » . وعند تركهم صاحب المقام كان رجوعهم وراء الى ان يصيروا خارجاً . اما سلامهم فكان اولًا برمي اليد الى الارض ، ثم وضعها على القلب ، ثم وضعها على الرأس والفم. في الاعياد كان قولهم في عيد الميلاد :

«عيد مبارك» وفي عيد الكبير: «المسيح حقاً قام» واما آخر المرفع فكان كلامهم: «مثلما رفعتم بخير تصومون بخير». ويقدمون باكورة اثمارهم في كل موسم.

اما النساء فعادتهن تقدمة شيء من عندياتهن وقت زيارة المرضى، وتهنئة الغائب بالسلامة.

وقد كان محرماً كل التحريم اجتماع الرجال والنساء، تمسكاً بالتقليد. فالنساء كنَّ ببساطة وحشمة واقتصاد في المعيشة وطهارة وعفاف في الحديث. اشغالهنَّ في المنزل المكب والمنزل وصنع القمصان والكلسات والاغطية. وكن متحجبات لا يظهرن الا وقت الحرب. حينئذ تراهن سافرات الوجوه سادلات الشعور، مترنمات باغاني حماسية، فينشطن الرجال باقوالهن وحضورهن. وعند طرح الصوت تهب الرجال لمقاومة العدو وتظهر النساء ناشدة الاغاني. فمن قولهنَّ:

امش على ما قدّر الله   والكاتبو ربك يصير
يا ما حلا! يا ما حلا!   دم الاعادي ما حلا!

فتردد الرجال آخر كلمة. وتتابع النساء:

وسلاحنا أكله الصدى . . .
لا يلتوي فارسكم   ولو اثخنته الجراح
والموت عنده احلى   احلى من كأس القراح
نساؤكم وراءكم   تقاتل بضرب الرماح
اولادكم تقول لكم   الموت افضل في القتال
ان مات رجل في الوغى   اولاده تحمي الديار
فالعرض عندكم ثمين   صونوه ايها الرجال

(له صلة)

شذرات

يوبيل الاب معلوف الصحافي الفضي

كان الاحد الواقع فيه الثاني والعشرون من ايار موعد حفلة اليوبيل الصحافي الفضي لحضرة اخينا في الرهبنة الاب لويس معلوف اليسوعي بمناسبة انقضاء خمس وعشرين سنة على توليه جريدة البشير ادارةً ورئاسة تحرير ، فبرز ممثل كلية القديس يوسف بحلة قشية من النباتات والازهار وغصت القاعة بجمهور الادباء وكبار القوم يتقدمهم ممثلو السلطتين واعضاء لجنة اليوبيل .

وفي الساعة الخامسة افتتح الحفلة حبيب بك طراد بكلمة موجزة . وتلاه انطون بك شحيبر بكلمة ترحيب . والقى بعد ذاك الاستاذ جرجي نقولا باز ما عرفه عن سيرة المحتفى به . ثم تعاقب الخطباء الاربعة وهم نعيم بك صوايا وموضوعه « التعليم » ، فالشيخ مصطفى الغلاييني وموضوعه « اللغة » ، فالاستاذ امين الغريّب وموضوعه « الصحافة » ، فالدكتور نقولا فياض وموضوعه « العلم والايمان » . وقد تخلّل هذه الخطب الحان موسيقية وختمت بنشيد من نظم الاستاذ نقولا بسترس وتلحين الاستاذ وديع صبرا ، انشدته الآنسة لودي منتي . وبعد ذلك عُلّق على صدر الاب المحتفى به وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الثانية الذي اهدته اليه الحكومة اللبنانية . فوقف والقى خطاب شكر لطيف .

ومما يجدر ذكره في هذه الحفلة ان لجنة اليوبيل خطت خطوة واسعة الى الامام في ما خصّ انصرافها وصرفها الخطباء عن حرق بخور الثناء الفارغ ونظم التقاريظ الطنانة الى البحث في موضوعات معيّنة جال فيها المحتفى به جولات مستحقّة الثناء فبرهنوا عن لطف ذوق ودقة حسّ ، وافادوا الحاضرين والغائبين ايضاً ممن سيطالعون ذاك الكتيّب اللطيف الجميل الذي جمعوا فيه كل ما قيل ووزّعوه في ختام الحفلة .

فنكرر لحضرة الاب المحتفى به تهانئنا القلبية ، ولحضرات اعضاء اللجنة شكرنا واعجابنا .

من خطاب لابن سعود

يعلم قرّاؤنا الكرام ما حاق بالحجاز هذه السنة من ضائقة مالية وقحط شامل حتى اصبح السكان في كثير من المناطق هدفاً للمجاعة . وقد كان التفاؤل كبيراً بموسم الحج بفضل ما قامت به الحكومة من الدعاية . الا ان الازمة العالمية أثرت في ذاك الموسم تأثيرها في كل مكان ، على نحو ما اشرنا اليه في «شذرات» العدد الفائت. فاخذت بعض الاوساط الاسلامية تلقي التبعة على ابن سعود ، ويتهمه غيرها بنية عقد قرض مع بريطانية العظمى يضحّي في سبيله بشيء من كرامة المسلمين.

فقام الملك ينفي هذه التهمة بواسطة وكالاته ، حتى سنحت له فرصة الحج فادب مأدبة لكبار القوم الوافدين من البلاد الاسلامية المختلفة والقى عليهم خطاباً طويلاً اظهر فيه حسن نيّته بلهجة جمعت بين الاباء والتواضع ، والتنصّل من تهمة القرض وبسط الحاجة وطلب المساعدة . وقد نشر الخطاب في جريدة «ام القرى» المكية (٧ ذي الحجة ١٣٥٠ — ١٣ نيسان ١٩٣٢) فرأينا ان نقتطف منه ما يلي :

« تولينا الحجاز فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح واخواننا المسلمون نقبل منهم كل امر فيه مناصحة على شرط ان يكون في الحق.. ومسئلتان لا يمكن ان نقبلهما ، ولو قاتلنا اهل الارض حتى لا يبقى فينا احد وهما : التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة ، لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما ابدًا ، الثاني : ان اي امر يلحق استقلال او شرف بلادنا فهذا مستحيل ان نقبله ولو تكلم من تكلم او قال من قال والحقائق مثبوتة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا ديناً ودنيا.

« كثيرًا ما يقولون بعض الناس ليش ما يحط ابن سعود جمعيات ومحلات دعاية ضد الانكليز او المسكوف ، او الطليان او غيرهم ويدافع عن المسلمين فاحب ان اكشف هذه الشبهة وابين الحقيقة فيها.

« أنا لست من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب ، انا رجل عمل

اذا قلت فعلت ، وعيب عليَّ في ديني ، وشرفي ان اقول قولًا لا اتبعه بالعمل وهذا شيء ما اعتدت عليه ، ولا احب ان اتعوده ابدًا . مـاذا يريد النـاس مني ؟ يريدون ان اقول واتكلم ثم يهمل جوابي واسكت واي فائـدة في القول الذي لا يعقبه فعل ، وهو امر ما اعتدته ، ولم يعتده قومي معي .

« انا لا اقول لصاحب (ام القرى) او غيره قل وتكلم على فلان وفلان ، وانما آمر بالسكوت الى وقت الفعل ، فاذا فعلنا تكلمنا . . .

« هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله اياه ، فسول لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير ، ولم أرَ احدًا من المسلمين دافع عني ولا مدافعـة واحدة ، المسلمون منعوا عن الحرمين الصدقات والاوقاف ، واخذوا يمنعون النـاس عن حج بيت الله كله لاجل ابن سعود . فما هو العمل الذي عمله ابن سعود ؟ هل نصب ابن سعود صنماً يعبد من دون الله ؟ هل أباح الخمور ؟ هـل أباح الزنى والفجور ؟ هل ترك ابن سعود الاشرار يفسدون في الارض ؟ أم ماذا صنع ابن سعود مما ينكره الشرع ، وتأباه المروءة العربية ؟

« أني والله اخاف الاجنبي مرة واحدة ، وأخاف الـذين يدعون الاسلام ثلاثة آلاف مرة وأرجو ان يعذرني المسلمون في قولي هذا ، واني والله صادق فيما اقوله وما تكلمت به . . .

« خاض الناس في القرض الكاذب ولفقوا وأولوا ، وانا أقول « والله الذي لا ربّ سواه » لم أعمل مع الانكليز ولا مع غيرهم قرضاً ما ، وربما اننا نحتاج ونأخذ سواء من المسلمين او غيرهم ، ولكن اذا وقع فـلا يمكن ان يخرج ذلك عن حدود الشرع ، ولا يمكن أن يمس البلاد واستقلالها وما فيها . واذا كان احد من المسلمين ملك او تاجر يريد ان يساعد الحجاز واهله على الوجـه المشروع فأنا أقوم معه واساعده .

« واني اقول من كان عنده نصيحة او ارشاد ويريد عرضهـا علينا فنحن مستعدون لذلك سواء الآن أو في وقت غير هـذا بيننا وبينه او امام علماء المسلمين . » .

مطبوعات شرقية جديدة

Henri Bergson : Les deux sources de la morale et de la religion. *4e édit.* **1932.** *in-8° de* **346** *pp. Prix:* **25** *f. Paris, Félix Alcan.*

مصدرا الاخلاق والدين

من الصعب ان نشرح على طريقة واضحة هذا المذهب الذي لا يكاد يُمسّ لما في فكرة صاحبه من تملّص وتفلّت، مع خروج على اصول الفلسفة المقرّرة الثابتة. على اننا نحاول جهد المستطاع ان نقف على ما يمتاز به مذهب برغسون في كتابه الاخير فنقول ملخصين :

ان تيارًا شديدًا من القوة الخالقة يجري في المادّة. ولكنه يتوقّف في كثير من انحائها. فتظهر توقفاته امام عيوننا على شكل انواع حية، اي بظهور كائنات مميزة. على ان هذا التيّار امكنه ان يجري بعيدًا على خط واحد دون ان يتوقّف، فوصلت به القوة الخالقة الى الانسان، فتجلّت فيه على شكل الذكاء المولّد والحرية الزاهرة.

وان الطبيعة التي جعلتنا عاقلين تركت لنا، الى حدٍّ ما، ان نختار النظام الاجتماعي الذي نرغب في المعيشة ضمنه. على انها اجبرتنا ان نعيش في المجتمع. ولذا فاننا نتحقق وجود قوة اتجاه دائمة، مثلها في ما خصّ النفوس مثلُ الجاذبية للاجسام؛ وهي تضمن دوام الاتحاد في المجتمع اذ تميل بجميع الارادات الفردية الى اتجاه واحد. وقد نشأ عن هذه الحالة الواجب الاخلاقي الذي يتبع تطوّر الهيئة الاجتماعية.

كان المجتمع في البدء «مقفلًا»، كما يقول المؤلف، فكانت التطلبات الاجتماعية، او الميل الاجتماعي، تدفع الفرد، على طريقة الغريزة؛ وكان الواجب يجري على شكل الشريعة. ثم كي تتمكن الهيئة الاجتماعية من الحياة، فتنيل كلًّا من اعضائها الثقة الضرورية، رأت نفسها بحاجة الى اختراع الديانة فاخترعتها. وما الديانة الا من توليد الذكاء القادر على خلق الخيالات الوهمية. وانها لحاجة غريزية في الانسان ان يتطلّب دائمًا معرفة اسباب المظاهر، حتى اذا لم

يتمكن من الوصول الى النبب الحقيقي اخذ باي سبب كان . والخلاصة ان الواجب ، وما هو الّا الضغط الاجتماعي ، وان الديانة الجامدة الواقفة او السلبية يؤلفان المجتمع المقفل . هذا هو المصدر الاول للواجب الاخلاقي والديانة.

وما هو المصدر الثاني ؟ لا يمكن المرور بطريق التوسّع من « المجتمع المقفل » الى « المجتمع المفتوح » ، اي من المدينة الى الانسانية جمعاء . وذلك لانهما ليسا من جوهر واحد . على ان النفحة الحيوية التي ولّدت المجتمع المُقفل تسعى دائمًا لتتمّ تطوّرها . وبما انها لا تتمكن من السير نحو الكمال بالنوع كله ، تراها مدفوعة الى تحقيق كمالاتها ببعض افراد تخصهم بفضائلها ، وهم الابطال والنوابغ والقديسون ، الذين يؤثرون على جمهرة الناس فيجذبونهم الى التمثّل بهم والسير على خطواتهم . وان هذه الجاذبية هي الواجب الخاص « بالمجتمع المفتوح ».

واذا ادرك هؤلاء الفضلاء معرفة انفسهم ، فانهم يصلون الى الحياة الصوفية او الروحانية ، فتكون الديانة المتحركة الفعّالة او الايجابية التي تعاكس والديانة الواقفة كما يتعاكس المجتمعان . وهكذا يمكن الانسان ان يصل الى معرفة وجود الله . وان من يدرس نفوس الصوفيين او الروحانيين يتحقق بينهم اتفاقاً عجيباً في استعمال الصور والتشابيه والتعابير ، على كونهم يجهلون بعضهم بعضاً ولا يهتمون بالجري على الاسلوب التقليدي. ولا يمكن شرح هذا الاتفاق العجيب الا بوحدة الغريزة التي تُلهم كلًّا منهم . وليس من علّة لها الا الوجود الحقيقي للكائن الاسمى الذي يعتقد كل من هؤلاء الروحانيين انه متصل به.

هذا هو ملخّص النظرية التي يبنيها المؤلف مستندًا الى تصوّراته وحدها صارفاً النظر عن غير ذلك من الاسانيد العادية . واغرب من كل هذا انه يعلن مرارًا ويردّد انه لا يتقدم الّا في مجال ثابت مرتكز على الاختبار . ج.ك.

Maurice Fouchet : Notes sur l'Afghanistan. *œuvre posthume*. *in*-12 *de* 228 *pp.* 1931. *Prix* : 20 *f*. *Paris, Editions Maisonneuve Frères.*

رؤوس اقلام عن بلاد الافغان

قد يكون المؤلف اول وزير فرنسوي في بلاد الافغان . على انه لم يكد

يرجع منها الى فرنسة حتى اصابه مرض فجائي اودى بحياته سنة ١٩٢٤ . وقد جُمع مؤخرًا ما ترك من المعلومات فطُبعت في مجلد مقسوم الى قسمين : يختص الاول بالبلاد وسكانها ، والثاني بتاريخها وسياستها الماضية والحاضرة . وانها لمعلومات كلها مفيدة عن بلاد مقفلة لا يعرفها الا القليل من الاختصاصيين . هذا وان للكاتب اسلوباً جميلًا يضيف اللذة الى الفائدة في كتاب دعي « رؤوس اقلام » مع انه على جانب وافر من حسن التأليف واستخراج المبادئ العامة الراهنة من المعلومات المتفرّقة التي يعرضها عرض الخبير المطّلع ، فيرى ما وراء بهرجة الالفاظ والتعابير الرسمية من الغرائب الاجتماعية والمؤسسات السياسية الوقتية الزائلة التي قام بها ملك اراد ان يستخدم اوربة لتعزيز سلطته في بلاد تعدّ من اشدّ بلاد العالم تأخرًا وامكنها استعدادًا للفوضى. ج.ل.

Christianus Pesh S. J.: Compendium theologiae dogmaticae. *t. I: De Christo, - de Ecclesia Christi, - de Fontibus theologicis. Editio 4ª, - Fribourg en Brisgau,* 1931, *Herder et Cie, XIV-315 pp.*

ملخّص في اللاهوت النظري : الجزء الاول

للاب كريستيان پيش اليسوعي كتاب واسع في اللاهوت النظري ، في تسعة مجلّدات ، ظهر للكثيرين اطول من ان يجعل كتاباً تعليمياً ؛ فطلبوا من المؤلف ان يختصره . فكانت فكرة هذا الملخّص الذي جمع النقاط المهمّة في المطوّل المذكور.

على ان المجلّد الاول من الملخص شمل ، منذ طبعته الاولى ، جميع ما في المجلّد الاول من المطوّل تقريباً ، مختصرًا قليلًا من مقدّمات اللاهوت ، زائدًا معلومات عامّة في الدين والوحي والعجائب والنبوّات ، مما كان يفتقر اليه المطوّل . وقد بلغ هذا المجلّد طبعته الرابعة ، وهي لا تفرق في شيء عن الطبعة الثالثة الظاهرة سنة ١٩٢٦ والتي تمكّن المؤلف من اعدادها قبل وفاته (٢٦ نيسان ١٩٢٥) . وقد وقف على هذه الطبعة حضرة الاب اغوسطين دنيف (Deneffe) اليسوعي الاستاذ في ڤالكنبورغ فلم يغيّر شيئاً كما قلنا . الا انه زاد في آخر الكتاب (الصفحات ٣٠٤ــ٣٠٨) قضية في قيمة شهادة

الكنيسة لارساليتها الالهية ملخصها ان الكنيسة الكاثوليكية تقول بانها الكنيسة الحقيقية الوحيدة ، وتؤيد ذلك ، تأييدها بالعجائب الدائمة ، بانتشارها العجيب وقداستها الواضحة وثمارها الرسولية وثباتها غير المتزعزع . فتكون هذه القضية تجديداً واستثماراً للبرهان المعروف بميزات الكنيسة والمذكور في القضية الثالثة والثلاثين من الكتاب.

وبما انه قد فتح باب الزيادات والتجديدات ــ وهو باب قد يتسع كثيراً ! ــ افلا يجوز لنا الرجاء ان نرى موضوعاً كثيراً ما اهمله اصحاب المطوّلات عند كلامهم عن الكنيسة وهو موضوع الكنيسة بصفة كونها جسد المسيح الروحي . وهو امر ذو اهمية كافية في نظرنا كي يذكر حتى في الملخّصات.

هذا وان قرّاءنا الكرام يعرفون مطبوعات هردر ويدركون كل ما تتصفا به من مزايا الاتقان والوضوح وجمال الطبع .

Les Guides bleus. Syrie, Palestine. *in*-16, 677 *pp* , 13 *cartes*, 55 *plans. Paris, Hachette*, 1932. *Prix* : 75 *f*.

الدليل الأزرق لسورية وفلسطين

هو اول دليل عام لسورية وفلسطين ظهر بعد الحرب الكونية ، فاشار في تضاعيف اوصافه الى التطوّر المهمّ الذي احدثته السيّارات وتجديد النظام السياسي في هذه البلاد. وكانت اول خدمة قام بها الدليل انه ذكر للمسافر عدداً كبيراً من التسهيلات الجديدة . من ذلك ان الاطلال والآثار المشهورة التي لم يكن السائح ليتمكن من زيارتها ، قبل اربعين سنة ، الّا اذا سافر عدة ايام على الجواد برفقة عدد من البدو ، يزورها اليوم بكل سهولة ، وفي بضع ساعات ، كآثار تدمر او صُلع (بترا) او الاطلال القديمة في العراق (وقد خصّ بها ٦٥ صفحة من الكتاب) . ومن تلك التسهيلات ما يذكره الدليل من المجازات الموصلة الى القرى الجميلة المنظر الحسنة الموقع في جبال لبنان وجبال العلويين . وكلها مرسومة في خرائط واضحة ولكن مختصرة كي لا تزيد في ثمن الكتاب . وهو ثمن قليل جداً (٧٥ فرنكاً) اذا انتبهنا الى ان

في الكتاب ٦٧٧ صفحة و ١٣ خريطة و ٥٥ رسماً.

على ان فضل الكتاب المهم هو قيمته العلمية . فان في هذه البلاد الحافلة بالتاريخ الوقور بـل باقدس تاريخ عُرف ، يتطلّب المسافر من يشرح له الآثار المختلفة ويؤكد له قيمتها التاريخية واهميتها السامية . وعليه فقد رغب السيد مونمَرْشه (Monmarché) مدير مجموعة « الادلّة الزرقاء » الى عدد من اشهر العلماء هيأتهم دروسهم السابقة وتنقيباتهم المحلية لتأليف دليل من هذا النوع . فكتب حضرة الاب أبيل (Abel) الدومنيكي ، الاستاذ في المعهد الكتابي والاثري في القدس ، مقدمة الكتاب مع القسم الخاص بفلسطين . واختصّ الاستاذ ديشان (P. Deschamps) بوصف معاقل الفرنجة وآثارهم . ووصف الاستاذ غبريال آثار تدمر . وقام الاساتذة پيبه (Pillet) ومعاونوه بكتابة القسم الخاصّ بالصالحية ـ دورا والعراق ... وقد بلغ عدد الذين تعاونوا في تأليف هذا الكتاب نحو الاربعين عالماً ، فجعلوا منه افضل دليل لسورية وفلسطين من حيث سهولة استقاء المعلومات والثقة الجدير بها . ر.م.

Fr. X. Kortleitner Ord. Praem. : Cananaeorum auctoritas num ad religionem Israelitarum aliquid pertinuerit. [*Commentationes biblicae VI*] *in-8° de 90 pp. Œniponte* (*Innsbruck*) *Rausch* 1932. *Prix : 3 Marks.*

أثر الكنعانيين في ديانة اسرائيل

تقضي هذه الرسالة ، بالاستناد الى اطلاع واسع ، على مزاعم القائلين بان ديانة الاله الحق عند الاسرائيليين لم تكن الا نتيجة العبادات الوثنية التي كانت منتشرة في القبائل الكنعانية . اما ان يكون كثيرٌ من الاسرائيليين قد جنحوا الى الوثنية فهو ما يشهد به الكتاب المقدّس ، واما ان تكون ديانة اسرائيل نتجت عن تلك العبادات الكاذبة فهو ما يبرهن المؤلف على فساده في عشرة فصول يخوض فيها الموضوع على جميع وجوهه فلا يترك زيادة لمستزيد . على ان المطالع لا يتمالك ان يسأل نفسه : أوَ لا يكون هذا البحث اكثر فائدة لو كُتب بلغة عصرية بدل لغته اللاتينية ؟ ...

الرسائل الضائعة ورسائل اخرى

تأليف سامي الجريديني

مطبعة الهلال ، ١٩٣٢ – ص ١١٠ ، ق ٨

للمؤلف كتب ظهرت : خواطر في الحقوق والادب ، خمسة في سيارة ، تعريب يوليوس قيصر وهاملت والملك لير ؛ واليك كتاباً سادساً. نصفه الاول معرب عن عشر رسائل قال فيها السيد سامي انه عثر عليها ، صدفة ، في عربة القطار الحديدي وهو مسافر من ليون الى اكس ليبان ، وفيها تحادير يتبادلهما فتاتان احداهما في لندن والثانية في باريس . وهي على سذاجة اسلوبها ، ودعة نطقها تنم عن ذكاء وثقافة لا يزدان بها الا بنات الفئة الراقية من بنات الافرنج ، فاخرّ بها مثالاً يقتدي بها شباننا وشاباتنا في الوصف ، وتحليل العواطف ، والنظرات المتيقظة في انحاء الحياة العصرية ... لولا ان المؤلف شوّه وجه كتابه اللطيف ، والقارئ بغنى عن ان يعرف ان القسيس الانكليزي انما هو بشر كسائر البشر وان يكن فيه رجلان ، رجل من لحم ودم ، ورجل يحيا حياة الروح في جهادها المستديم . في الجزء الثاني من الكتاب رسائل لم ينسب المؤلف اصلها الى غيره ، وفيها نظرات جديدة في شرقنا : على مبدأ القومية وميزتها في الغرب ، وحالتها في الشرق ، وهي تشف عن مطالعة واسعة وخبرة باحوال الغرب واحتكاك متصل بحضارتهم وثقافتهم . ولكن المؤلف تسرّع في استنتاج نتائجه او في تعميمه على الغرب طرًّا ما يكون ظاهرة عرضية من ظواهر الحياة الغربية . مثال ذلك كلامه في قيمة القانون والشريعة (ص٨٣ وما بعدها) تكلم جزافاً على اصل الشريعة الاصيل ، ولم يرده الى مصدره الاولي وهو ارادة سيد الكون ؛ ونحا في معالجة الموضوع الخطير نحو من لا يميزون بين الشريعة الصالحة والشريعة الشريرة . وهذه لا تحسب شريعة حقًّا . وان جرى ، في حين من الاحايين ، بعض حكام الغرب على سنة مخالفة للمبادئ القويمة ، وشذوا ، فليس شواذهم مما يتخذ قاعدة ثابتة ، فيصح من ثم ان يُقال انهم يقدسون الشريعة اية كانت ، صالحة او شريرة ، كما ذهب

الى ذلك المؤلف . وفي الكتاب اقوال على السلطة والحرية لا يسلم بها المنطق الآخذ بقدماته عن المبادئ الفلسفة الصحيحة ؛ ولا توافق عليها وقائع الاحوال. على ان لغة الكاتب رشيقة وعباراتها مكتنظة بمعانٍ تستوقف النظر في مواضيع عصرية حية. ف.ت

الاحنف بن قيس — مطبوعات عبيد اخوان

اهدت الينا المطبعة العربية لاصحابها عبيد اخوان في دمشق ، نشرة فيها لائحة اهم مطبوعاتها الحديثة ، ولفتت النظر خاصة الى المجلد السادس والسابع من تهذيب تاريخ ابن عساكر لانها نشرت من المجلد السابع انموذجاً ، وهو ترجمة الاحنف ونسبه وصفاته واخباره وحكمه وامثاله وتأبينه ورثاؤه . على امل ان يُتاح لنا عن قريب وصف المجلدين المذكورين ، عند دخولها المكتبة الشرقية ، نحيّي في ناشريها النشاط والهمة والغيرة على حفظ آثار السلف والكشف عن كنوزها ، ونتمنى للمطبعة العربية اطراد النجاح. ف.ت.

نشرة الصليبيين

صحيفة شهرية . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٣٢

هي نشرة شهرية يقوم بطبعها باللغة العربية شبان الرهبانية اليسوعية الدارسين اللغة العربية في بكفيا ، تأهباً للتبشير . شركوا فيها مئات الاحداث في المدارس وجندوهم لمحاربة اهواء النفس الامارة بالسوء والتسلح على الشيطان بالمناولة المتواترة ؛ وقد نالوا استحسان الاب الاقدس وعطفه برسوم خاص وجهه اليهم في هذا العام. ف. ت.

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيه

الدرجة الاولى : ١٢٢ ص. صغيرة — مكتبة صادر ، بيروت ١٩٣٢

هو كتاب تعليمي صغير في القواعد الاولية يؤلف درجة من خمس تختص الاربع الاولى منها بالصرف والنحو والخامسة بالبيان . وضعها الاستاذ جرجي

شاهين عطيه مستندًا الى خبرته الطويلة في التدريس والى ما يراه موافقاً حالة العصر ومقتضياته. وقد تولت طبعها مكتبة صادر، فاظهرت حتى الآن هذا الجزء الذي نصفه اليوم.

التذكار المئوي الثاني

لتثبيت قانون الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية

٦٧ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٢

بمناسبة مرور مائتي سنة على البراءة التي اصدرها البابا اكليمنضوس الثاني عشر في ٣١ آذار ١٧٣٢ يثبت بها قانون الرهبانية الحلبية المارونية اللبنانية وفرائضها ورسومها، رأت رئاسة الرهبانية الحلبية ان تخلد هذا التذكار بكرّاس جميل المظهر حسن الطبع ضمنته براءة التثبيت المذكورة، وما يتعلق بها من رسائل مهمة، ولمحة اجمالية في تاريخ الرهبانية وقسمتها الى حلبية وبلدية وما لها من الخدمات في سبيل البلاد والعلم. فنكرر لها تهانئنا، ونتمنى ان تظلّ الاحقاب الطويلة على نموّها وازدهارها.

غافر ولبانة

نظم ابي الفضل الوليد

١٩ صفحة متوسطة – مطبعة الحسام، بيروت ١٩٣٢

هي «منغمة ذات مشهدين» يعني فصلين، نظمها صاحبها «من اجل مصر» وضمنها عواطف حسنة في الوطنية وما اليها. وقد سار فيها على اسلوب جديد في تنويع القوافي جاعلًا اكثر ابياتها مستقلة كل منها بقافية واحدة على نحو المعروف في بحر الرجز. الا ان هذا الاسلوب يقطع مجرى النفس الشعري احياناً ويؤثر بالرنة الموسيقية غالباً. ولا يمكن الحكم الصحيح على هذا النوع من الروايات الّا اذا اطلعنا على الموسيقى، وهي العنصر الاكبر في قيمة «المنغمات».

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار ١٩٣٢

لبنان وسورية — اصدر المفوّض السامي قرارًا اول (٩ ايار) يوقف بـه مجلس النوّاب الى اجل غير مسمى ويحـلّ مجلس الوزراء حلًّا نهائيًا على ان يقوم بالسلطة التنفيذية ، بمساعدة الدولة المنتدبة ، رئيس الحكومة المعيّن بقرار من المفوض السامي ، يؤازره مجلس مديري المصالح العامة . واصدر قرارًا ثانيًا (٩ ايار) يعيّن به الاستاذ شارل دباس رئيساً للحكومة.

* تتوالى الاضطرابات في بعض الانحاء السورية بين المنتمين الى كل من حزب المعتدلين والمتطرّفين من نوّاب سورية.

* وصلت الى بيروت بعثة علمية اسوجية من جامعة استوكهلم غايتهـا درس النباتات والزهور والاشجار في بلاد الانتداب.

مصر — نجحت التجربات الاولى للمخاطبة بالتلفون اللاسلكي بين مصر وانكلترة.

* القيت قنبلة على ممر القطار الناقل صدقي باشا . فانفجرت قبل وصوله.

* تتسع حركة تبادل المحصولات بين مصر واليونان.

العراق — زار الملك فيصل بلاد فارس فـاستقبله خارج طهران شاه العجم في احتفال باهر.

تركيا — طلبت الحكومة منـذ مـدة الى اليهود ان يكتبوا لغتهم بالحروف اللاتينية . فاصدروا منشور عيد الفصح بهذه الحروف . وقد عارض اليهود الارثوذكس في ذلك . ولكن الشبان عاكسوهم . وصرح الحاخامون لمراسلي الصحف بانهم يريـدون ان يماشوا التطور الحديث وانهم سيترجمون التوراة الى اللغة التركية ، ويقيمون الصلاة بهذه اللغة.